الدعوة الإسلامية في عصر ثورة المعلومات

أ.د. عبد الحميد عبد المنعم مدكور
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تمهيد : الدعوة ، مكانتها ، وضرورتها :

الدعوة إلى الله تعالى هى أخص وظائف الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، وقد جاءت وصفاً لهم في القرآن الكريم ، في مثل قوله تعالى : ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ..﴾ (النساء : ١٦٥) وفي ذلك يقول الله عز وجل في وصف رسوله ﷺ : ﴿يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ (الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦) وروى الدرامي في سننه بسنده إلى ربيعة الجرشى أنه قال : [أتي النبى ﷺ ، فقيل له : لتنم عينك ، ولتسمع أذنك ، وليعقل قلبك . قال : فنامت عيناي ، وسمعت أذناي ، وعقل قلبي . قال : فقيل لي : سيد بنى داراً ، فصنع مأدبة وأرسل داعياً . فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ورضي عنه السيد . ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ، ولم يطعم من المأدبة ، وسخط عليه السيد . قال : فالله السيد ، ومحمد الداعي ، والدار الإسلام ، والمأدبة الجنة] (١) .

وإذا كانت الدعوة إلى الله بهذه المثابة في تعريف الخلق بالله ، ودعوتهم إليه ، وجمع القلوب عليه ، وكانت في الدرجة العليا من وظائف الأنبياء عليهم السلام ، فإن القائمين بها من بعدهم ، هم من ورثتهم ، الآخذين بمنهجهم ، المتبعين لطريقتهم. ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ (يوسف : ١٠٨) وقد تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن مقامهم الكريم ، وثوابهم العظيم • ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت: ٣٣) وقوله ﷺ [من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً••] [٢] ، ، وقوله عليه الصلاة والسلام في وصيته لعلي بن أبى طالب في غزوة خيبر [ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن تكون لك حمر النعم] [٣] والدعوة - إذن - هي المعنية بالحفاظ على ميراث النبوة في هداية الخلق إلى الله تعالى ، وفي تعريفهم بحقائق الدين • ومن المقرر في شريعة الإسلام أن رسالته عامة دائمة مستمرة ، وأنها شاملة للزمان والمكان ، وأنها ليست محصورة في جنس أو عنصر أو طائفة أو لون وأنها تفترق - بذلك - عما سبقها من الرسالات والنبوات ن حيث كان الرسل والأنبياء يبعثون إلى أقوامهم دون سواهم ، أما رسالة الرسول ﷺ فهي عامة جامعة شاملة ، وقد كان هذا من خصائصه ، عليه الصلاة والسلام ، ومما قاله في ذلك : [وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة] وجاء في رواية مسلم : [وبعثت إلى كل أحمر وأسود] [٤] •

وقد أودع الله في رسالته من الكمال ما جعلها جديرة بوصف الرسالة الخاتمة التي لا تنسخ ولا تبدل ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (المائدة : ٣) • وفيها يقول ابن عباس - رضى الله عنهما - : ((وهو الإسلام ، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان ، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمه الله ، فلا ينقصه أبداً ، وقد رضيه الله ، فلا يسخطه أبداً)) [٥] • وقال تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم ﴾ (الأنعام : ١١٥) • وقد كان مما يتفق مع هذا الشمول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والكمال أن يكون هذا الدين محفوظاً في مصادره ، فلا ينالها تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان ، وأن يعصمه الله من تلاعب أهل الأهواء . وفي بيان ذلك يقول الله تعالى :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر : ٩) ويدل ذلك - كما يقول أبو إسحاق الشاطبي (٧٩١) على أن ((الحفظ دائم ، إلى أن تقوم الساعة . فهذه الجملة تدلك على حفظ الشريعة ، وعصمتها عن التغيير والتبديل)) [٦] .

وما دام الإسلام باقياً دائماً - بحفظ الله له - فإن الدعوة إليه يجب أن تكون باقية دائمة ، تبليغا له ، وتعريفاً به ، وأداءً للأمانة التي كلف الله تعالى بها الأمة التي شرفها بحمل هذه الأمانة . والدعوة - على هذا - فريضة إسلامية وضرورة شرعية ، وهي صفة من الصفات التي تتميز بها الأمة الإسلامية عن غيرها ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور﴾ (الحج : ٤١) وقد أوجب الله ذلك على الأمة في مجموعها ، وشرع لها أن تنتدب للقيام بها من يكون مؤهلاً لأدائها على الوجه الأكمل ، الذي يحقق الغاية المرجوة منها ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران : ١٠٤) . ثم كان نطاق هذا الوجوب واسعاً ، بحيث يدخل فيه الأفراد ، على حسب جهدهم وعلمهم وطاقتهم وموقعهم في المجتمع ، وظهر ذلك واضحاً في هدي الرسول ﷺ وأحاديثه الكثيرة ، ومنها :

[بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار] [٧] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه] (٨) .

[نضر الله أمرأ سمع مقالتي فبلغها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه] (٩) .

وبهذا تتكامل الجهود ، وينهض الجميع على كل المستويات بواجب الدعوة التى أمرهم الله تعالى بها .

وإذا كانت الدعوة واجبة ، لكونها تطبيقاً لعالمية الإسلام وعموم رسالته ، فإنها - من جهة أخرى - واجبة للوفاء بحق البشرية ، التي تعاني - بسبب بعدها عن الدين الصحيح - من القلق والاضطراب والتعاسة ، وتفتقد مشاعر الأمن والسعادة والطمأنينة ، وترزح تحت أعباء الجريمة والعنف ، والمخدرات والأمراض النفسية والعصبية ، وتتزايد في مجتمعاتها نسب الطلاق والانتحار والاغتصاب والقتل ، وترتب على ذلك كله مخاطر لا تقل في آثارها المدمرة عن القنابل الذرية ، وسيطرت على الناس - في مجتمعات كثيرة - مشاعر الاغتراب والوحشة واليأس ، والرعب من زوال منجزات الحضارة التي تحققت بفضل العلم في العصور الأخيرة ، وهي منجزات هائلة ، ولكنها عجزت عن أن تمنح الإنسانية حاجتها إلى اليقين والأمن والطمأنينة . ولذلك تنادي المصلحون والحكماء بالعودة إلى الإيمان ، الذي يمثل طوق النجاة ، واستعادة الأمن والأمل والثقة والتفاؤل (١٠) .

وإذا كانت النفس الإنسانية قد أفصحت عن حاجتها إلى الدين بعد أن سئمت العيش بعيداً عنه ، فإن أهل الإسلام مكلفون بالمسارعة إلى تلبية هذا النداء ، لأن دينهم هو خاتم الرسالات الإلهية وأكملها ، وهو المهيأ - أكثر من سواه - لهدايتها وتحقيق أمنها ورشادها واستقامة حياتها . ﴿ وأنزلنا إليك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ (المائدة : ٤٨) .

أولاً : عصر المعلومات أو عصر العولمة :

أ- شهد العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي بزوغ وشيوع مصطلح "العولمة" التى أصبحت شعاراً وعنواناً على الحقبة المعاصرة من العلاقات الدولية ، وقد امتد نطاقها إلى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والعلوم والإعلام وغيرها من مجالات الحياة الإنسانية .

"وأصبح من غير الممكن فهم عقد التسعينات ، وما حدث وما يحدث فيه من تطورات متلاحقة ، دون الرجوع إلى ظاهرة العولمة ، التي أصبحت الآن - وكما يقول فذرستون ولاش - الإطار المرجعي لكل الدراسات الاجتماعية والإنسانية" (١١) .

وقد كانت العولمة ثمرة لتفاعل عدد من الأسباب والمؤثرات التي أدت إلى ظهورها ، ومن أهم هذه العوامل : التطور العلمي والمعلوماتي الذي يكتسح العالم منذ التسعينات ، وهو القوة الأساسية والطاقة المولدة والمحركة للعولمة ، وقد أصبح بالإمكان - بسبب هذا التطور الهائل - الاتصال بشبكة عالمية واسعة وسريعة تتيح المجال لكل من يريد الاطلاع على ما لم يكن بالإمكان الاطلاع عليه في كل زمان ، بما في ذلك ما هو موجود في المكتبات والجامعات ومراكز البحوث العالمية ، وأصبح ذلك متاحاً بسرعة الضوء في كل مجالات العمل والتجارة والتعليم والتدريب ، ويتم ذلك كله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دون قدرة الدول على التدخل والرقابة الفاعلة .. لقد تحولت تكنولوجيا المعلومات إلى أهم مصدر من مصادر الثروة وقوة من القوى الاجتماعية والسياسية والثقافية الكاسحة في العالم اليوم [١٢] .

وصحب هذا التطور العلمي بروز ما يسمى بالشركات المتعدية الجنسيات التي لم يعد نشاطها في إنتاج السلع وتبادلها محصوراً في نطاق الدولة القوية وخاضعاً لرقابتها وإشرافها ، بل إن هذه الشركات قد مدت نطاق الملكية والنشاط إلى دول كثيرة ، وزادت رءوس الأموال التى تملكها هذه الشركات زيادة هائلة ، وسيطرت على قطاع كبير من الاقتصاد العالمي ، واتخذت من العالم كله مسرحاً لنشاطها سواء فيما يتعلق بالحصول على المستخدمات والمواد الخام ، أو توزيع عمليات الإنتاج والتسويق مستعينة في قيامها بمهامها بجهود وتأثير المؤسسات الدولية المالية والنقدية ، كصندوق النقد الدولي ، والبنك الدولى ، ونفوذ الدول الصناعية الكبرى ومختلف وسائل التأثير في الرأى العام ، كشبكات التلفزيون والصحف الكبرى ، وغير ذلك من وسائل التأثير [١٣] .

وكان من العوامل المؤثرة - على الصعيد السياسي الدولي - تفكك الاتحاد السوفيتى ، وانهيار الكتلة الشيوعية المرتبطة به (١٩٨٩/١٩٩٠) وساعد ذلك على ظهور قوة عظمى واحدة ، سعت بكل قوتها إلى الترويج للنظام الاقتصادى الذي تعتنقه ، مصحوباً بكل خصائصه على المستوى السياسي والأخلاقى والحضاري ، وبدأت في الظهور تلك النظريات والأفكار التى تبشر بسيادة هذا النظام ، وهزيمة كل ما سواه من النظم السياسية ، وبدأ الترويج لفكرة نهاية التاريخ التي دعا إليها فوكوياما في كتابة (نهاية التاريخ)، والترويج لفكرة صدام الحضارات التى دعا إليها صمويل هنتنجتون [١٤] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- ومن شأن هذه العولمة - إذا سارت في طريقها المرسوم - أن تؤدي إلى تذويب الحدود بين الدول ، وزيادة معدلات التشابه بين الجامعات والمؤسسات ، كما ستؤدى إلى إلغاء الحواجز الجمركية التي كانت الدول تلجأ إليها لحماية اقتصادها ، كما ستعمل على رفع الحواجز أمام حركة الأموال ، والاستثمار والعمالة ، وسيتم اللجوء إلى تطبيق مفاهيم الحرية الاقتصادية ، وحرية الأسواق والتبادل ، دون قيود مركزية أو محلية كما كان الشأن سابقاً ، وسيتم التنافس في سوق تشبه أن تكون سوقاً واحدة [١٥] بما يترتب على ذلك كله من آثار . ويفيض الباحثون في بيان الآثار السياسية والاقتصادية التي ستترتب على هذه العولمة ، ويشيرون في هذا الصدد إلى تراخي قبضة الدولة القومية على الشركات الاقتصادية التي ستكون - عندئذ - دون هوية قومية محددة ، بل إنها ستخضع لإملاء قوى السوق بالكامل ، دون أي اعتبار للسياسات القومية النقدية ، بل إن وظيفة الدولة - في ظل هذا النظام - ستكون شبيهة بوظيفة البلديات داخل الدول ، قبلئذ ، فعليها أن تقدم الهياكل الارتكازية والسلع العامة التي تحتاجها الشركات بأدنى تكلفة ممكنة [١٦] .

كما يشيرون إلى انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القروية والإقليمية والوطنية في اقتصاد عالمي شمولي واحد [١٧] ، ويؤدي ذلك إلى اكتساح الاقتصاديات العالمية الكبرى لاقتصاديات وأسواق الدول الفقيرة أو الأقل تقدماً ، لأنها لا تملك القدرة على المنافسة ، كما أنها ستكون ملزمة - بمقتضى الاتفاقيات الدولية ، كاتفاقية الجات ، واتفاقية منظمة التجارة العالمية - على فتح حدودها ، وإلغاء الحواجز الجمركية الحمائية التي كانت تضعها لحماية اقتصادها وبذلك تتحول اقتصادياتها إلى اقتصاديات تابعة أو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استهلاكية ، بما يزيدها فقرا وتخلفا وبطالة ، وبما يؤدي إلى هجرة شبابها إلى البلاد الغنية[١٨] .

وعلى الرغم من خطورة هذه الآثار في مجالات السياسة والاقتصاد ، فإنها ليست هي الأكثر جسامة وخطراً ، بل إن الخطورة تتجلى في أبلغ صورها في مجال التأثيرات الثقافية[١٩] التي ستترتب على هذه العولمة .

ويمكن الإشارة – هنا – إلى أن من أبرز سمات هذه العولمة بل من أهم أسبابها : تلك القوة الهائلة التي بلغتها وستبلغها في مضمار التطور التقني لأجهزة الاتصال ، ووسائط نقل المعلومات التي اخترقت الحدود والسدود ، وتمكنت من الوصول إلى كل مكان في العالم وأصبحت بذلك ذات قدرة غير مسبوقة على التأثير في عقليات من يتلقونها ، وتكوين مفاهيمهم ومواقفهم ، والتأثير في عاداتهم ونمط حياتهم ، عن طريق ما تذيعه من أخبار ، وما تدعو إليه من أفكار ، وما تبثه من برامج ، وما تقدمه من حوارات ومناقشات ، وما تتفنن فيه من إعلانات ، ويزداد التأثير بسبب ما يتوفر لهذه الوسائل من براعة في الإخراج وابهار في التقديم ، وقدرة على التنوع ، وإفادة من البحوث والدراسات النفسية التي تحدد كيفية التأثير في عقلية المشاهد وجذبه إلى حيث تريد .

ويصل الأمر إلى حد الكارثة إذا كانت جموع المشاهدين خالية من عقيدة حاكمة ، أو قيم موجهة ، أو ثقافة أصلية مؤثرة . وهكذا تؤدى هذه الطفرة الإعلامية والتقنية إلى ما يشبه أن يكون ثقافة كونية ستتشكل حسب ما ترتضيه وتسعى إليه القوى التي تهيمن على أجهزة الإرسال ووسائل الإعلام ، وستكون الدول والمجتمعات المستقبلة لهذا السيل الإعلامى الجارف مهددة بفقد أو ذبول ثقافتها ، وذوبان هويتها ، وتحلل أصالتها ، وإذا أرادت أن تنجو من هذا المصير فإن عليها أن تستجمع كل طاقتها ، وتشحذ كل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جوانب القوة فيها ، وتستحضر مواطن العراقة في تاريخـــها ، وخصـــائص القوة في شخصيتها ، وأن تجعل الحفاظ على شـــخصيتها وقيمـــها مهمتـــها الكبـــرى والأولى ، وإلا جرفها السيل ، وألقى بها فـــي مـــهاوي التخلـــف والتبعية ٠

ويشير الباحثون إلى خطورة هذا التأثير عندما يوجهون الأنظار إلـــى "أنه لم يعد ثمة شك في أنه لو طلب اليوم من سكان المعمورة التصويـت لأي أسلوب في الحياة هم يفضلون لكان بوسعهم ذاك ، فهناك مـــا يزيـــد علـــى خمسمائة قمر صناعى [٢٠] تدور حول الأرض ، مرسلة إشـــارات لاســـلكية للحداثة التي صارت تنعم بها بعض الشعوب (!) فبواسطة الصور الموحـــدة على شاشات مليار من أجهزة التليفزيون تتشابه الأحلام والأمـــانى ٠٠ لقـــد اقتلعت الأطباق المستقبلة لما ترسله الأقمار الصناعيـــة ، وكذلـــك مولـــدات الكهرباء العاملة بالقوة الشمسية في المناطق النائية ٠٠ ملايين من البشر مـــن حياتهم القروية ، رامية بهم في أبعاد فلكية ٠٠ وهكذا لم يحدث في التـــاريخ أبداً أن سمع وعرف عدد هائل من سكان المعمورة عما يجري فـــي بـــاقي أنحاء العالم من أحداث كما هو اليوم ٠ ولأول مرة فـــي التـــاريخ صـــارت البشرية وحدة واحدة في تخيلها للوجود" [٢١] ٠

ولا يجد هؤلاء الباحثون حرجاً من التصريح بحرج الموقف الذي ستجد فيه الثقافات القومية نفسها في مواجهة هذا التأثير الوافد عليها والـــذي يـــراد فرضه بقوة أصحابه وبقوة الأمر الواقع على من سواهم ٠

وفي ذلك يقول بعض الباحثين : "وتغدو الثقافات القومية التي تســـتهدف الهيمنـــة على الأفراد الذين ينتمون إليها على نحو متزايد مشاريع مقاومـــة للعالم ، وتراجع عنه ٠ وأن النزعة القومية المنطوية على النفس والأصوليـــة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثقافية هي – بصريح العبارة – سياسة الخاسرين" ويؤدى الإنحصار في ثقافة خاصة إلى التهميش لهذه المجتمعات(٢٢) .

ج– وإذا كانت هذه المخاوف والمخاطر تنطبق – بصفة عامة – على الدول الأقل نمواً من الناحية الصناعية والتقنية فإن العالم الإسلامى – الذي تدخل كثير من دوله في نطاق هذه الدول – يستشعر أو ينبغى له أن يستشعر مزيداً من القلق والإحساس بالخطر ، ولا يرجع ذلك – فقط – إلى المخاطر التي تهدد ثرواته وموارده الاقتصادية ، وأسواقه التي تسعى هذه العولمة إلى السيطرة عليها ، وتجريدها من عناصر القوة الكامنة فيها ، ولكنها ترجع – فضلاً عن ذلك – إلى المخاطر التي تهدد انتماءه الديني ، ونظامه الأخلاقي ، وهويته الثقافية ، وتراثه التاريخي .

ويمكن إيضاح ذلك بأن هذه العولمة تعد تعبيراً عن حضارة بعينها ، وهي ليست – فقط – نظاما اقتصاديا ، ولا تطوراً تقنياً ، ولكنها تجسيد شامل للحضارة التي أنتجتها ، وهي الحضارة الغربية بجناحيها الأمريكي والأوروبي ، ثم بالدول التي تنتسب إليها في الأماكن الأخرى من العالم . وتعكس العولمة روح هذه الحضارة وفلسفتها ورؤيتها للوجود والكون والدين والأخلاق وللحياة ، بصفة عامة . وقد اتجهت هذه الحضارة في القرون الأخيرة إلى موقف معاد من الدين الذي كانت تدين به ، وهو الدين الذي بشر به السيد المسيح عليه السلام ، ووقع ذلك في أوروبا لظروف تاريخية صبغت علاقتها بالكنسية الكاثوليكية ، وانتهت – في آخر المطاف – إلى العلمانية التى تفصل ما بين الدين والدولة ، أو بعبارة أدق ، ما بين الدين والحياة ، وتحول الدين – لديهم – إلى مسألة شخصية منحصرة داخل جدران الكنائس ، ولم يعد له تأثير في الحياة الفكرية والاجتماعية بمعناها العام ، الذي يشمل السياسة والاقتصاد والقانون والتربية وغيرها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويوصم الدين لدى المعاصرين من مفكري هذه الحضارة بأنه من معوقات الحرية والديمقراطية اللتين هما من أخص خصائص هذه الحضارة ، وفي ذلك يقول فوكوياما "فإن الدين لم ينشئ - بذاته - مجتمعات حرة . وبمعنى ما فإنه كان على المسيحية أن تلغى ذاتها بعلمنة أهدافها ، قبل أن تتمكن الليبرالية من الظهور" وكانت العلمنة هي السبيل إلى منع الدين المسيحي ورجاله من التدخل في الشئون السياسية[٢٣] . وتوصف المسيحية عنده بأنها آخر أيديولوجيا كبرى للاستعباد ، لأنها لا تحقق الحرية الإنسانية للإنسان على هذه الأرض ، وهكذا كانت - في رأيه - شكلاً جديداً من أشكال العبودية والاستلاب[٢٤] فإذا كان هناك دين يسعى إلى تقعيد كل مظاهر الحياة الإنسانية العامة والخاصة ، بما في ذلك مجال السياسة فإنه سيكون - بسبب هذا الطابع الشمولي - عائقا أمام الديمقراطية ، وسيكون من المستحيل أن يتلاءم مع الليبرالية ، وينطبق هذا - عنده - على بعض الأديان ، ومنها الإسلام[٢٥] .

ويترتب على هذا الموقف العام من الدين موقف آخر من القيم الأخلاقية النبيلة التي تدعو الأديان إليها ، وهي أخلاق تقوم على الانضباط والالتزام بمبادئ أخلاقية تهيمن على مشاعر الإنسان وسلوكه ، بحيث يكون تصرفه طبقا لها . وهذا في رأي فوكوياما - يتنافي مع قيمة الحرية ، ويتعارض مع قيمة التسامح التي تمثل الفضيلة الرئيسة في المجتمعات الديمقراطية ، وبهذا الفهم للحرية والتسامح ينشغل الفرد بنفسه ، ويهتم بصحته وأمنه الشخصي ، ويلبي حاجاته الجسدية ، ويولى آماله ومخاوفه اهتماما كبيراً يتفوق على أي شئ آخر ، ويسبق كل شئ[٢٦] ويضرب فوكوياما مثالاً لتوضيح فكرته هذه ، يقول فيه (في أمريكا اليوم ، لم يعد من المناسب أبداً أن يقوم شخص بمهاجمة صديق له ، معروف بأنه متزوج ، لدى رؤيته في مطعم برفقة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عشيقته ، لكونه يخـون زوجته ، فالناس الذين يفعلـون ذلـك يعتـبرون أخلاقياً - حقيريـن ، فهم لا يملكون أية صفة تخولهم تقديم النصائح للغـير ، حول الطريقة التى ينبغي أن يعيشوا بموجبها • بينما النـوع عينه - مـن الأشخـاص - بإمكانه أن ينتصب فجأة ، ويأمر الآخريـن بـالتوقف عـن التدخين •• بالنسبة للأمريكيين فإن صحة أجسادهم : غذائهم ومشـروبهم ، التمارين التى يقومون بها ، الحالة الصحية التي هم عليها - أصبحت هاجساً يستحوذ (على) اهتمامهم أكثر من المسألة الأخلاقيـة التـي كـانت تـؤرق أسلافهم[٢٧] وهكذا تتصف الأخلاق بالنسبية ، وترتبط بالمنفعة التي تكون هي المعيار الأوحد أو الأعلى في الحكم عليها ، ووصفها بأنها فضيلة أو رذيلة ، وينعـدم فيها مبدأ الإلزام الخلقي الذي يمثل عنصراً أساسياً فـي الأخـلاق الدينية ، والمذاهب الأخلاقية المثالية •

وينعكس هذا كله على النظرة إلى حقوق الإنسان ، ومكانـة المـرأة ، وغيرها من المسائل التي تحاول الحضارة الغربية فرضها على العالم كلـه ، مستخدمة كل الوسائل والإمكانات المستطاعة - لديهم - وهي كثيرة فالغرب - كما يقول هنتنجتون : هو الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في كـل حضارة أو منطقة أخرى - ولها القدرة على التـأثير علـى سياسـة وأمـن واقتصاد كل حضارة أخرى ، والمجتمعات التي تنتمي إلى حضارات أخـرى محتاجة دائما إلى مساعدة غربية[٢٨] .

وانطلاقاً من هذه القوة والإحساس بها يرغب الغرب في إعادة صياغـة العالم وفق صورته هو [٢٩] وتتهاوى - تحت تأثير هذه القوة الهيمنـة علـى الاقتصاد والسياسة الدولية والقوة العسكرية - دعاوى الحرية والتنافس الحـر التى يرددها دعاة العولمة والمبشرون بها •

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د- ولعل ما سبق يكفي لبيان أن العولمة التي هي التعبير المعاصر عن الحضارة الغربية - ذات موقف مخالف للإسلام ، وهذا تعبير مخفف جداً عن طبيعة العلاقة بينهما ؛ فلقد كانت - في كثير من مراحلها وجوانبها - مشحونة بعوامل الصراع والتوتر والاضطراب والقلق ، كما حفلت بصور شتى من التوجس والحذر والتأهب والاستعداد للصدام ، ووصلت - في بعض فتراتها - إلى حد الحروب الشاملة التي دامت - في بعض الأحيان - قروناً من الزمان (١٠٩٥-١٢٩١م) ٠ وكما حدث في الحروب التي شنتها الكنسية الكاثوليكية ودول غرب أوروبا لإخراج الإسلام من الأندلس ، والتي انتهت بخروجه منها (١٤٩٢م) وقد وصفت هي الأخرى بأنها ليست إلا حرباً صليبية طويلة الأمد[٣٠] .

وعلى الرغم من التفوق الكاسح الذي شهده الغرب في القرون الأخيرة فإنه ما يزال ينظر - بقلق - إلى الإسلام ؛ لأن حضارته (هي الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك ، وقد فعل ذلك مرتين على الأقل) [٣١] وقد حفرت هذه الأحداث في أعماق العقلية الغربية ، وأصبحت قادرة على استثارتها واتخاذ أشد المواقف وأقساها تجاه الإسلام ٠ ويعبر عن ذلك د٠ مراد هوفمان ، السفير الألماني الذي أعلن إسلامه قائلاً : إن أوروبا وأمريكا تتسامحان مع أي دين ، إلا إذا كان هذا الدين هو الإسلام (نعم ، إذا سبرت غور النفس الأوروبية ولو بخدش سطحي صغير لوجدت تحت الطبقة اللامعة الرقيقة عداء للإسلام ، عقدة فينّا التي يمكن استدعاؤها في أي وقت) [٣٢] .

وفي ظل هذا الجو غير الودي تتكرر على الأسماع تلك الشبهات التي سعي إلى إثارتها المستشرقون والمنصرون ، وتسعي إلى بثها وإذاعتها ونشرها أجهزة الإعلام ، ووسائط المعرفة الحديثة ، ويوصف الإسلام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحضارته بأوصاف ظالمة هما منها براء ، ومن ذلك أن الإسلام دين يرفض العلم ، ويضاد التقدم والمدنية ، ويتصف بالجمود والانغلاق ، وأنه هو السبب في تخلف المسلمين ، بسبب ميله إلى كبت الآراء ومقاومة الديمقراطية ، كما يوصف بأنه يضطهد المرأة ، ويحرمها من حقوقها لحساب الرجل ، وأنه ينتهك حقوق الإنسان وكرامته ثم يوصف الإسلام - كذلك - بأنه دين يدعو إلى العنف ، ويسعى إلى الانتشار بالقوة المسلحة والجهاد المقدس الذي يبتغى من ورائه إفناء الآخر وإذلاله ونهب ثرواته ، واستغلت بعض الأحداث الفردية التي تقع هنا وهناك ، وفي مقدمتها أحداث سبتمبر ٢٠٠١ لإعادة إنتاج ونشر تلك الصورة القاتمة التي يريدون دمغ الإسلام بها ، فيوصف الإسلام بأنه دين عنف وشر وقتل وليس ذلك - في نظرهم - محصورا في بعض الأفراد أو المنظمات التي تدعى الانتساب إلى الإسلام ، بل إنه يرجع - لديهم - إلى نصوص القرآن ذاته ، وتم التركيز على بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن مقاتلة الكافرين والمشركين المحاربين للإسلام والمعتدين على المسلمين ، وتقطع النصوص من سياقها ، وتدور الآلة الإعلامية الجهنمية لتشوه الحقائق ، وتبذر الأحقاد والكراهية ، ويوضع الإسلام في دائرة الحصار والدفاع عن النفس ضد هذه الاتهامات الجائرة والأحكام الظالمة ، التي توزع بلا دليل صحيح ولا برهان[٣٣] .

ويستخلص مما سبق - على إيجاز - أن العولمة - بآثارها المتنوعة لا سيما في الجانب الثقافي ، بمعناه الشامل - تعد واحدة من التحديات المفروضة على العالم الإسلامي ، وهي - بعبارة موجزة - تنافس الإسلام على أرضه ، وتحاول غزوه في عقر داره ، فتسعى إلى التأثير في أفكاره ومفاهيمه مواقفه وأنماط معيشته ، والمنظومة الأخلاقية السائدة فيه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم هي من - جهة أخرى - تناهض الإسلام وتقاومه على أرضها ومناطق نفوذها، وتعمل - جاهدة - على الحيلولة دون مغالبتها على أرضها ، أو تحقيق انتصار عليها لاسيما وهي ترى الإسلام يمثل عامل جذب لبعض الغربيين ، الذين يجدون في رحاب الإسلام من الأمن والطمأنينة والحصانة النفسية والقوة المعنوية ما لم تحققه لهم الحضارة الغربية ، على الرغم مما قدمته لهم من قوة ورخاء وهيمنة ونفوذ ، ويبدو ذلك واضحاً من الأعداد الكبيرة التي تدخل في الإسلام ، حتى إنهم ليعدون بالملايين ، وهم - بفضل الله تعالى - في تزايد مستمر ، على الرغم من أحوال العالم الإسلامي وظروفه الصعبة .

وينبغي على المسلمين - إذن - أن يضعوا في حسبانهم هذه المتغيرات التي ترتبت على العولمة ، وأن يخططوا تخطيطا جيداً لمواجهتها والتقليل من أخطارها ، وينطبق ذلك على كل جوانب الحياة والنشاط في المجتمعات الإسلامية ، كالبحث العلمي والتعليم والإعلام والاقتصاد ونحوها . ثم هو ينطبق - على نحو بالغ الأهمية - على حقل الدعوة الإسلامية .

ثانياً : الدعوة الإسلامية في عصر المعلومات (العولمة) :

إذا كانت العولمة تمثل هذا التحدي ، فإن الإسلام قادر دائماً على مواجهة التحديات ، وذلك لما أودع الله فيه من الهدى والكمال ، وما ضمن له من العصمة والحفظ ، وما تحقق له من ملاءمة الفطرة ، وموافقة العقل ، وسماحة التشريع ، ونبل المبادئ والقيم التى يدعو إليها ، وقد أحرز النصر في مواقع سابقة ، بالكلمة والقدرة والجهاد في سبيل الله ، وتخطي العوائق والعقبات التي وضعت في طريقه ، وصاحبته منذ ظهوره ، وقد خاض - في هذه المواجهات - حروبا عسكرية ، وواجه حروباً صليبية واستعمارية : شرقية وغربية ، وتصدى لمعارك مستمرة من الجدل الديني ، والجهود

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستشراقية والتنصيرية ، وخرج ظافراً منتصراً ، وارتفعت راياته وأعلامه في جنبات الأرض كلها ، تحقيقاً للبشارات الإلهية والنبوية • وما يزال قادراً على جذب العقول والقلوب إلى رحابه • والواقع خير شاهد ، وأصدق دليل •

ومن شأن هذه التحديات أن تستثير في قلوب المسلمين وعقولهم عوامل القوة واليقظة والوحدة ، وأن تخلصهم من نوازع الضعف والخمود والتخلف المادي ، وأن تدفعهم إلى المجاهدة لاستئناف مسيرتهم الحضارية التي كانت لهم على مدى عدة قرون •

ومما يقوى نزعة التفاؤل والأمل أن العولمة ليست موجهة إلى المسلمين وحدهم ، وإنما هي نظام يراد تعميمه على العالم كله شرقا وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وأن مواقع الأمم والشعوب ستتحدد فيه على حسب حركتها تجاه هذا النظام وموقفها منه ، وتفاعلها معه ، وحرصها على مصالحها إزاءه • ثم ستحدد - كذلك - على حسب قدرتها على الإفادة من بعض الآثار الإيجابية المصاحبة له حتى ولو لم تكن مقصودة لأصحابه ، والمتصدرين لموقع القيادة فيه ، ومن أهم هذه الآثار : التطور التقني والمعلوماتي الذي توصلت إليه البشرية في عهودها الأخيرة •

ويتحقق ذلك بأن يبادر القائمون على شئون الدعوة الإسلامية إلى النهوض بأعبائها ، مستفيدين من هذا التطور في إبلاغ الدعوة وتعريف الناس بها • ويقتضي ذلك عملاً جاداً شاملاً متواصلاً في جانبين متكاملين :

١- الحفاظ على حقائق الإسلام وثوابته ومقاصده وخصائصه ، وهذا هو الذي يمثل جوهر الدعوة ومضمونها • ويتصف هذا الجانب بالثبات ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستند إلى كمال الشريعة وحفظ مصادرها . ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل : ٨٩) .

٢- تطوير وتحديث الوسائل والأساليب في العرض والبيان والإقناع والاستدلال ، وتنويع الآليات والطرق للوصول إلى أمة الدعوة ، التى تشمل البشرية كلها ﴿ قل يأيها الناس إنى رسول الله عليكم جميعاً ، الذي له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

فأما الجانب الأول المتعلق بحقائق الإسلام ومقاصده فإن الحديث يطول فيه جداً ، بل إن الحديث عن حقيقة واحدة من حقائقه ، أو مقصد واحد من مقاصده يتسع فيه القول ، ويدفعنا ذلك إلى اختيار بعض العناصر ، التى ينبغي إبرازها والتأكيد عليها ، بعد بيان أصول العقيدة ، وأركان الشريعة ، التى هي المداخل الأساسية للحديث عن الإسلام وبيان خصائصه التي يتميز بها عن سواه ، وسنشير إلى ذلك بإيجاز شديد ، نرجو ألا يكون مخلاً :

أ- يؤكد الإسلام تأكيداً قويا على كرامة الإنسان ، وتتجلى مظاهر هذا التكريم في أن الله تعالى خلقه بيديه وعلمه من علمه ، وأسجد له ملائكته ، وتفضل عليه بالتوبة ، بعد أن نسي وعصى أمر ربه﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ (البقرة : ٣٧) .

وقوله : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ (طه : ١٢٢) وحرره وذريته بذلك من إثم الخطيئة ثم جعله خليفة في الأرض ليعمرها ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم اصطفى من بني الإنسان من جعلهم أهلاً لتلقي وحيه ، وإقامة شرعه ، وهم الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وفتح للطائعين باب محبته ومودته [فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها] [٣٤] وفتح للعصاة باب التوبة حتى إنه وصف نفسه - جل وعلا - بأنه يفرح بتوبة عبده .

ومما يدل على هذا التكريم - ما رواه عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ، ويقول : [ما أطيبك وأطيب ريحك ، ما أعظمك وأعظم حرمتك . والذى نفس محمد بيده ، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك : ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً] [٣٥] وقد رفع الله الإثم والحرج عن المؤمن المضطر إذا تلفظ لسانه بسوء ، ما دام قلبه مطمئنا بالإيمان .. ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ..﴾ (النحل : ١٠٦) [٣٦] .

ب- يؤكد الإسلام على المساواة بين الخلائق في أصل الخلقة ، ويقيم أواصر الأخوة بينهم ، دون اعتبار للون أو العنصر ، أو الجاه أو الحسب أو النسب أو غير ذلك ، مما قد يتفاضل به الناس ، ولكنهم في الإسلام يخضعون لمعايير أخرى في التفاضل بينهم ، كالتقوى والإيمان والعلم ، والجهاد والإنفاق في سبيل الله .

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على التذكير بذلك وكان من مظاهر هذا الحرص أنه جعله في صدر خطبته الجامعة التي خطبها في حجة الوداع ، وفيها يقول : [أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى] [٣٧] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد روى زيد بن أرقم ﷺ أن النبى كان يقول دبر صلاته هـذه الدعوات الثلاث :

[اللهم ربنا ورب كل شئ أنا شهيد أنك أنت الرب وحدك ، لا شريك لك (مرتين) ٠

[ربنا وربك كل شئ ، أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك ٠ ربنا ورب كل شئ ، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة] (٣٨) .

ج- أوضح القرآن أن الله تعالى أنزل كتبه ، وأرسل رسـله لتحقيـق العدل ودفع الظلم ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينـات ، وأنزلنـا معـهم الكتـاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (الحديد : ٢٥) .

وقد جعله الله عز وجل فريضة في القول والشهادة والقضاء والحكـم ، وفي نطاق الأسرة والمجتمع ، ولازما في التعامل مـع النفـس والوالديـن والأقربين وواجباً حتى للخصم والعدو(٣٩) ، ودعا إلى صبـغ الحيـاة كلـها بصبغة العدل ، لأنه هو الذى يورث الأمن ، ويهيئ الفرص لإقامة العمـران وبناء الحضارة ، وتحقيق التقدم بمعانيه المادية والروحية ، ثم اتسع تشـويعه لكل ما يحقق العدل ويؤدى إليه ٠ وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) (فإن الله أرسل رسله ، وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الـذي قامت به السموات والأرض فإذا ظهرت أمارات الحق ، وقامت أدلة العـدل ، وأسفر صبحه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمـره ٠ والله - تعالى - لم يحصر طرق العدل وأدلته وامارته في نوع واحد ، ٠٠ بل بيـن ما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق ، ومعرفة العدل وقيام النـاس بالقسط ٠ فأى طريق استخرج بها الحق ، ومعرفة العـدل وجـب الحكـم بموجبها ومقتضاها) (٤٠) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د- تدل النصوص الشرعية على أن المقاصد العليا للإسلام تتمثل - على الإجمال - في أمرين :

أولهما : الإيمان بالله عز وجل ، والرضا بحكمة ، والدخول في طاعته وعبادته ، على النحو الذي شرعه ، وفي ذلك يقول الله عز وجل : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ (الذاريات : ٥٦ ، ٥٧) .

ويقول : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني ، هذا صراط مستقيم ﴾ (يس : ٦٠ -٦١) إلى آيات أخرى كثيرة.

وفي ذلك يقول الشاطبي - في عبارة جامعة : (المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه ، حتى يكون عبد الله اختياراً ، كما هو عبد الله ، اضطراراً) [٤١] وهذا هو المقصود الأول ، والأصلي ، والأعظم ، ويدخل تحته المقصد الثاني وهو تحقيق مصالح العباد في دينهم ودنياهم وأخراهم ، على نحو من الشمول والكمال الذي لا يتحقق إلا باتباع شريعة الله تعالى .

وفي توضيح هذا المعنى يقول عز الدين بن عبد السلام (٦٦٠هـ) (والشريعة كلها مصالح : إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح) ويقول : (والكتاب والسنة يشتملان على الأمر بالمصالح كلها : دقها وجلها ، وعلى النهي عن المفاسد كلها : دقها وجلها) [٤٢] ويقول ابن قيم الجوزية (فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها .. وكل خير في الوجود فهو مستفاد منها ، وحاصل بها ، وكل نقص في الوجود فسببه من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إضاعتها .. فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم ، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة) [٤٣] .

وقد كان من فضل الله ورحمته أن جعلها شريعة ميسرة ، لا حرج فيها ولا عنت ، ولا تشديد ولا مشقة، وقال في ذلك ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .. ﴾ (البقرة : ١٨٥) .وقال في وصف رسالة رسولهﷺ : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) وقال في وصفه عليه الصلاة والسلام ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة : ١٢٨) وقال ﷺ عن نفسه : (إنما أنا رحمة مهداة) [٤٤] .

هـ- ومما يتفق مع هذه الرحمة أن الشريعة هدى وضياء ، وأنها جاءت لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (المائدة : ١٥ ، ١٦) وأن الأخذ بها ، والالتزام بهديها يمنح الناس الأمن والهداية ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (الأنعام : ٨٢) .

ويسوق لهم الخير والبركة ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (الأعراف : ٩٦) .

ويترتب على مجموع ذلك الحياة الطيبة بمعناها الجامع لطيبات الحياة ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل : ٩٧) وبذلك يبرأون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الشقاء والضنك ، والرعب والفزع ، الذي يشقى به من لم يدخل في الإيمان ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ٠٠﴾ (طه : ١٢٣ ، ١٢٤) ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ (الحج :٣١) ٠

و- تدل النصوص الشرعية ، التى أشير إلى شئ منها فيما سبق - أن الإسلام دين شامل ، يتضمن العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات ، ويحيط بأصول النظم التي تحتاج المجتمعات الإنسانية إليها ٠ وقد جاء الإسلام - في هذه الأمور - بأحكام مفصلة أحيانا ، كما هو الشأن في أصول العقيدة ، وكثير من أحكام الشريعة ، لاسيما في العبادات والمواريث ونحوها ، وجاء في بعضها الآخر بأصول وقواعد كلية ، يمكن الاجتهاد - على نورها - فيما لم يذكر الشرع حكمه تفصيلا ، ومعنى ذلك أن الشريعة قد تضمنت كل شئ تفصيلاً أو تأصيلاً ، أو بحسب تعبير بعض العلماء نصاً أو فحوى[٤٥] وفي هذا المعني يقول الله تعالى عن القرآن الكريم : ﴿ ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (يوسف : ١١١) ٠

ويقول : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (النحل : ٨٩) ٠

ويظهر هذا - بأدنى نظر - في القرآن والسنة وكتب الفقه والتشريع ، وتاريخ الإسلام ، وليس هناك عسر - على أهل الاجتهاد - في الوصول إلى أحكام العبادات والمعاملات والعقوبات ، وأحكام الأسرة ، وما جاء في الشريعة من النظم ، التي تؤدي - إذا أحسن الناس فقهها ، وسعوا إلى تحقيق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقاصدها – إلى تحقيق مصالحهم ، وحفظ حقوقهم ، كنظام الولاية والقضاء والحسبة ونحوها ، وما وضعته من قواعد وأحكام ووصايا تتعلق بالجهاد والحروب والمعاهدات ، والصلح ، ونحوها من مسائل العلاقات الدولية .

وقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – هم أول الناس إدراكاً لهذا العموم والشمول ، وكان ذلك موضع اعتزازهم وفخرهم . وها هو عمر ابن الخطاب ﷺ يقول للناس بالمدينة بعد عودته من أداء شعيرة الحج [أيها الناس قد سنت لكم السنن ، وفرضت الفرائض .. وتركتم على الواضحة] (٤٦) .

وقال أبو ذر الغفاري : [ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما] (٤٧) .

ويفترق الإسلام بهذا الشمول عن العلمانية التي تقوم على الفصل بين الدين والحياة ، وهو فصل – إذا ارتضاه بعض أهل الأديان – فإنه غير مقبول عند المتمسكين بحقائق الإسلام ، وهم مسئولون أمام الله عز وجل عن الحفاظ على صفة الشمول، امتثالاً لأمر الله لرسوله ، وللمؤمنين من بعده . ﴿ وأن أحكم بينهم بما أنزل الله إليك ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلهم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ (المائدة : ٤٩ : ٥٠) .

ز– ليس معنى كمال الشريعة وتضمنها للأحكام تفصيلاً أو تأصيلاً أن العقل في الإسلام مهمل لا عمل له ، أو أنه معطل لا قيمة له ، فللعقل – في الإسلام – مكانة لا توازيها مكانة في غيره من الشرائع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي القرآن آيات كثيرة تدعو إلى النظر والتفكير والتدبر والفقه والاعتبار ، واستثمار سائر الملكات والطاقات التي زود الله العقل بها ، وفيه آيات تدعو إلى الاعتماد على الحجة والدليل والبرهان ، وقد أسند القرآن نفسه إلى هذه الوسائل في الاستدلال على أصول العقيدة التي يقوم الدين عليها ، كالإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته ، والإيمان بالبعث والحساب ، وفي القرآن - كذلك - ذم للتقليد والمقلدين ونهى عن اتباع الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً ، ولم تكن المعجزة الكبرى والعظمى التي ثبتت بها نبوة الرسول ﷺ من جنس المعجزات الحسية ، بل كانت متمثلة في القرآن الكريم ، الذي هو معجزة عقلية علمية ، تخاطب العقل ، وتقدم له برهان الصدق . وقد جادل الله المخالفين ، وألزمهم بالبينة والحجة البالغة ، وقد فتحت مدينة الرسول ﷺ بالقرآن ، ولم تفتح بالسيف كما يقول ابن قيم الجوزية ، ولم ينقطع الرسول عن مجادلة الكافرين على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي ، وكذلك فعل أصحابه من بعده ، وقد أمره الله تعالى بجدالهم بالتي هي أحسن في السور المكية والمدنية .. وبهذا قام الدين ، وإنما جعل السيف ناصراً للحجة[٤٨] .

ويستخلص من ذلك - ومما يماثله مما لا يتسع له المقام - أن كمال الشريعة لا يحول دون اجتهاد العقل ، فإذا كانت الأحكام الواردة في الشريعة مفصلة فإن العقل يجتهد في فهمها [٤٩] تمهيداً لتطبيقها على الواقع ، وإذا كانت واردة على وجه الإجمال ، فإنه يجتهد في استنباط الأحكام الجزئية من القوانين والأصول الكلية التي جاءت في الشريعة . وإذا كانت المسائل التي يراد التوصل إلى حكم الله فيها مما لم يرد فيها - بذاتها - تشريع بعينه ، لكونها تدخل فيما يسميه بعض علماء الأصول منطقة المباح أو منطقة العفو التي أشارت إليها بعض أحاديث الرسول ﷺ ومنها « ما أحل الله في كتابه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت فهو عافية ، فـــاقبلوا مـــن الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسي شيئاً ﴾ ثم تلا هذه الآية ﴿ وما كان ربـــك نسياً ﴾ (مريم : ٦٤) ، ومنها : ﴿ إن الله فرض فرائض فلا تضيعوهـــا ، وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها﴾ (٥٠) . أو لكونها داخلة في نطـــاق أمـــور الدنيا ، التي لم يأت فيها أو في جنسها نص شرعي ، والتي قال فـــي مثلـــها رسول الله ﷺ : ﴿ أنتم أعلم بأمر دنياكم﴾ (٥١) ، فإن للعقل أن يجتهد في هذه المسائـــل بالفهم والتقدير والقياس ، مراعياً ما دعت إليه الشريعة مـــن جلب للمصالح ، ودرء للمفاسد ، ورفع للحرج والمشقة ، وتحقيـــق لليســـر والرحمة ، وتقدير لظروف الزمان والمكان والعرف ، وفـــهم للضـــرورات وتقديرها بقدرها دون دخول في معارضة النصوص ، والأصول الكلية التـــي جاءت الشريعة بها .

وعلى العقل أن ينظر في الكون وما يتضمنه من مخلوقات وظواهـــر طبيعية ليكتسب مزيداً من العلم المتجدد بها ، وليعمل على اكتشاف القوانيـــن التى أودعها الله تعالى فيها . وقد يجد في القرآن والسنة من الإشارات مـــا يقود بحثه ، وييسر له سبيل الفهم والكشف لها ، وليس عليه في هذا المجـــال من قيد ، إلا القيود التى يتطلبها البحث العلمي ذاته ، فعليه أن يطلب الحقائق ويجد في طلبها ، بموضوعية وأمانـــة ودأب ، وأن يجعـــل غايتـــه كشـــف المجهول ، ومعرفة الأسباب والظروف التي تحيط بالظواهر التي يدرســـها ، دون ركون إلى اتباع الهوى ، أو إخفاء الحقائق التي تختلف عن الفـــروض العلمية التي وضعها وبدأ البحث بها ، إلى غير ذلك مـــن الشـــروط التـــي وضعها علماء مناهج البحث من المسلمين وغيرهم ، ضماناً لجدية البحـــوث العلمية ، وتوفيراً لأسباب النجاح والتقدم فيها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كان من فضل الله عز وجل وحكمته ، وعصمة شريعته ألا يكون فيها ما يضاد العقل أو يناقضه ، ويتقرر هذا - بقوة ووضوح - عند علماء الشريعة الذين اجتهدوا في إثبات أنه لا تعارض بين العقل والنقل (أي الشرع) ، ومن هؤلاء : ابن تيمية (٧٢٨) الذي كتب في ذلك كتباً ورسائل كثيرة ، كان الغرض منها بيان أن [ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة ، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط][٥٢] .

ولم يكن هذا مقرراً عند علماء الشريعة وحدهم ، بل كان مقرراً عند كثير من الفلاسفة الإسلاميين[٥٣] وبعض المشتغلين بالعلوم الرياضية والتجريبية كأبي الريحان البيروني[٥٤] ، ولذلك لم يقع في الحضارة الإسلامية ذلك التعارض بين الدين والعلم على النحو الذي حدث في الحضارة الغربية ، وأدى إلى تلك القطيعة المشئومة بينهما ، كما أدى إلى اتجاه أوروبا إلى العلمانية ، على حساب الدين .

وليس في الإسلام - إذن - ما يضاد العلم ، أو يقيد حركة العقل ، أو يقف في وجه التقدم والحضارة والمدنية ، كما يدعي المدعون ، بل إنه - على العكس من ذلك - قامت حضارة مزدهرة كانت من أعظم الحضارات التي شهدتها الإنسانية ، باعتراف المنصفين من المؤرخين .

ح- وما دامت رسالة الإسلام هي الرسالة التي ختم الله بها الرسالات ، فلا نبوة بعدها ولا رسالة ، ما دامت متصفة بالعموم للبشرية كلها فإن المسلمين مكلفون بتبليغها للناس بكل الوسائل الممكنة ، ومنها الدعوة بالكلمة ، وقد كانت هذه هي الوسيلة الأولى التي بدأت بها دعوة الإسلام ، فجمع الرسول ﷺ الناس وخطبهم ودعاهم إلى الله وأنذرهم ، وذهب إليهم في مجالسهم ، ومواطن اجتماعهم ، وخرج إلى الطائف ، والتقي بالقادمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من المدينة ، وتحدث إلى هؤلاء جميعاً ، وأبلغهم ما أمره الله بإبلاغه ، وكان سلاحه الوحيد في ذلك كله ، وطوال المدة التي قضاها في مكة ، وفي أوائل مقامه بالمدينة هي كلمة الحق التى أمره الله تعالى أن يصدع بها . وقد كتب بها إلى ملوك العصر وحكامه ، كقيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي وغيرهم . وظل للكلمة دورها الفعال قبل تشريع الجهاد وبعده ، بل كان من تشريع الجهاد أن يبدأ المسلمون بعرض الإسلام قبل بدء القتال ، ومما يدل على ذلك ما وقع في غزوة خيبر عندما أعطى الرسول ﷺ الراية لعلي بن أبى طالب رضي الله عنه ، فقال علي [يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم] (٥٥) .

وكان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، وقال : [إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال .. فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم : ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ..] (٥٦) .

ثم شرع الله الجهاد ، ليكون من وسائل الدفاع عن الدعوة ومن وسائل إبلاغها ، وكان من أسباب تشريع الجهاد ما ذكره الله تعالى في قوله ﴿ أذن للذين يقاتلون ، بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً .. ﴾ (الحج : ٣٩ ، ٤٠) وهكذا كان القتال لدفع الأذى ، ورد العدوان ، ونجاة من الفتنة في الدين ، ودفاعاً عن العقيدة ومقدساتها ، التي يذكر اسم الله فيها ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم تكن استجابة لشهوة القتل ، أو تعطشاً لسفك الدماء ، كما لم يكن بقصد الاستعلاء والتكبر ، أو التسلط والبغي :

- ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (البقرة : ١٩٠) .

- ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط﴾ (الأنفال : ٤٧) .

وكان من وصايا رسول الله ﷺ للمجاهدين [اغزوا باسم الله ، وفي سبيل الله اغزوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً] ، وقوله [انطلقوا باسم الله وبالله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانياً ، ولا طفلاً ولا صغيراً ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، وأصلحوا ، وأحسنوا ، إن الله يحب المحسنين] (٥٧) .

كذلك لم تكن الغاية من الجهاد الاستيلاء على ثروات الأمم والشعوب أو السعي وراء المغانم المادية ، وقد سئل رسول الله ﷺ عن رجل يريد الجهاد ، وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : [لا أجر له] وكرر ذلك ثلاث مرات ثم سئل عن الرجل يقاتل للذكر ، ويقاتل ليحمد ، ويقاتل ليغنم ، ويقاتل ليرى مكانه ، فقال رسول الله ﷺ : [من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل] (٥٨) ولقد كان صحابة الرسول ﷺ يرون في الجهاد في سبيل الله تعالى وسيلة لتحرير الخلق من العبودية لغير الله تعالى ، ويستشعرون في أنفسهم تلك الغاية التحريرية النبيلة التى تتفق مع بعض صفات الرسول ﷺ في كتب أهل الكتاب ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة الإنجيل يأمرهم بالمعروف ويناهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ..﴾ (الأعراف : ١٥٧) .

ولعل مما يدل على ذلك - أبلغ دلالة - ما قاله ربعي بن عامر لرستم قائد جيوش الفرس ، عندما سأله عن سبب مجئ المسلمين إليهم (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .. فمن قبل ذلك قبلنا منه ، ورجعنا عنه .. ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى نفضي إلى موعود الله . قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات .. والظفر لمن بقي) [٥٩] .

وقد كان بعضهم يتعفف عن المغانم ، لتطلعه إلى ما هو أعظم منها وهو الشهادة في سبيل الله ، ومن هؤلاء رجل قسم له الرسول ﷺ قسمه من خيبر فقال للرسول [ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى ههنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال : إن تصدق الله يصدقك] ثم نهضوا إلى قتال العدو ، فأتي به إلى رسول الله ﷺ يحمل ، وقد أصابه سهم ، حيث أشار ، [فقال النبي : هو هو ؟ قالوا : نعم . قال : صدق الله فصدقه] [٦٠] .

ولم يكن الجهاد - في كل أحواله - وسيلة إلى إكراه الناس على دخول الإسلام ، بل كان لإبلاغهم دعوته ، وتعريفهم بحقيقته ، ورفعاً للموانع والحجب التي تحول بينهم وبين معرفته ، أما الإكراه على الدين فليس مما يرتضيه الإسلام .

- ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.. ﴾ (البقرة : ٢٥٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفـــأنت تكـــره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس : ٩٩) .

وقد اعترف المنصفون من الباحثين في تاريخ الإسلام بأمور عديـــدة ، منها : أن الإسلام انتشر بالسلم أكثر مما انتشر بالحرب ، وقد وصل الإسلام إلى أماكن شتى من العالم على أيدي التجار المسلمين وبعض العلمـــاء مـــن المنتسبين إلى الطرق الصوفية [٦١] .

ومنها : أن العقيدة الإسلامية (تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى .. وعلى الرغم من أن صفحات التاريخ الإسلامي قد تلوثت بدماء كثيـــر من الاضطهادات القاسية (!) ظل الكفـــار علـــى وجـــه الإجمال ، ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح ، لم نكن نجد لها مثيلاً في أوروبا حتى عصور حديثة جداً ، وأن التحويل إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم .. وأن مجرد وجـــود كثـــيرين جـــداً مـــن الفـــرق والجماعات المسيحية في الأقطار التي ظلت قروناً في ظل الحكم الإســـلامي لدليل ثابت على ذلك التسامح الذي نعم به هؤلاء المسيحيون ..) [٦٢] .

وهكذا كان الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة ، وقد تضمن تشريعه كثـيراً من الوصايا والآداب والأخلاق ، فضلا عن القواعد والأحكام التي تضمن ألا يكون وسيلة ضغط أو إكراه ، أو تخريب وتدمير ، وقد قال بعض العلمـــاء : إن وجوب الجهاد هو (وجوب الوسائل لا المقاصد ؛ إذ المقصود بالقتال إنمـــا هو الهداية ، وما سواها من الشهادة . وأما قتل الكفار فليس بمقصود ، حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل غير الجهاد ، كان أولى من الجهاد) [٦٣] .

وعلى الرغم من ضعف العالم الإسلامي ، ينتشر الإسلام في العصـــر الحديث ، في مناطق العالم المختلفة ، مما يـــبرهن بطريقـــة حاســـمة ، أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلام ينتشر بقوته الذاتية المودعة فيه ، وليس انتشاره مقصوراً على الجهاد ، الذى تبذل الجهود من خصوم الإسلام لتشويهه والنظر إليه على أنه عنف وإرهاب ، والجهاد في الإسلام منه براء .

ط- يؤمن الإسلام بعالمية رسالته ، ولكنه يبين أنه سيكون من الناس من لا يستجيب لدعوته ، وسيتسع العالم لمن يؤمنون بديانات أخرى ، بل إنه سيتسع لمن لا يدينون بدين أصلاً ، ومما يدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ..﴾ (الأنعام : ١١٦) ، وقوله :﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ (يوسف : ١٠٣). وهذا مظهر من مظاهر الاختلاف الذي هو أمر طبيعي بين البشر ، فهم مختلفون في المواهب والملكات والقدرات والرغبات ، وهم أمم وليسوا أمة واحدة ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ..﴾ (هود : ١١٨ ، ١١٩) وقد أراد الله لهذا الاختلاف أن يكون سبيلاً إلى التعارف والتكامل ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا .. ﴾ (الحجرات : ١٣) .

وقد بين القرآن أن الخلق مختلفون في الشرائع أيضا﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ (المائدة : ٤٨) . وقد دعا الإسلام إلى ألا يكون هذا الاختلاف باعثاً على الصراع والبغي والعدوان ، بل أن يكون سبيلاً إلى التعاون والتسابق في الخيرات ﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾ (البقرة : ١٤٨) ويقول :﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات .. ﴾ (المائدة : ٤٨) . ثم نهى عن الظلم الذي قد يندفع إليه الناس بدوافع من البغض والكراهية ، دون مسوغ ﴿ولا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المـــائدة : ٨) كما دعا إلى التسامح والرفق وعدم المسارعة إلى العدوان ، حتى مع وجـــود ما يدعو إليه ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحـــرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا علـــى الإثـــم والعـــدوان﴾ (المائدة : ٢) .

وقد دعا الإسلام أهل الأديان الأخرى إلى الدخول فيـــه ، ولكـــن لـــم يكرههم على ذلك ، كما سبق القول ، بل إن الإسلام أحل أكـــل طعامـــهم ، والزواج بنسائهم [اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حـــل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذيـــن أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مســـافحين ولا متخذي أخذان ..] (المائدة : ٥) .

وقد أعترف لهم بحظهم من الكرامة التي جعلها الله للنفس البشرية التى خلقها ، وقد قام الرسول ﷺ لجنازة مرت أمامه ، فلما قيل له : إنها جنـــازة يهودي قال : (أليست نفساً) [٦٤] ، وقد أوصى الإسلام بـــالبر بـــهم وحســـن المعاملة لهم ، والعدل معهم ، ما داموا يكفون عن المسلمين عدوانـــهم ، ولا يؤذونهم ، ولا يخرجونهم من ديارهم [لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فـــي الدين ، ولم يخرجوكم من ديارهم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحـــب المقسطين] (الممتحنة : ٨ وارجع كذلك إلى الآية رقم ٩) .

وقد حرم الإسلام قتل النفس بغير حق ، وينطبق ذلك على المســـلمين ومن يدخل في عهدهم وذمتهم ، فإذا وقع هذا الجرم فإن جزاءه أليم ، وفـــي ذلك يقول الرسول ﷺ : [من قتل معاهداً له ذمة وذمة رسوله لم يرح رائحة الجنة ، وريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً] [٦٥] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد دعا الإسلام أهل الكتاب إلى كلمة سواء ، يجتمعون فيها مع المسلمين على الإيمان بأصول الدين التي جاء بها الأنبياء [قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون] (آل عمران : ٦٤) وأوصى المسلمين وصية جامعة تنهى عن مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن [ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون] (العنكبوت : ٤٦) .

وهكذا يتسع صدر الإسلام ونصوصه ودولته للآخر الذي يدين بأديان غير الإسلام ، والإسلام - إذن - لا يدمر الآخر ، أو يسعى إلى إفنائه وإزالته من الوجود ، بل يعيش أصحاب هذه الأديان في سماحة منقطعة النظير في ظل الإسلام ، كما يؤكد الواقع والتاريخ ، وكما نقلنا عن توماس أرنولد منذ قليل .

هذه بعض رءوس المسائل والموضوعات ، التى تتبين فيها بعض معالم الإسلام ، وخصائصه . وعلى القائمين بأمر الدعوة الإسلامية ، أن يتناولوها بالتفصيل اللائق بها ، وأن يضيفوا إليها ما هو في مثل أهميتها ، مع مواجهة حملات التشويه والتشكيك الموجهة إليها قديماً وحديثاً ، وأن يقوموا بإبلاغ ذلك للناس ، مع الاستمساك بها ، وعدم التفريط فيها ، والتزام الحرص عليها والحذر من الوقوع في هاوية التراجع عن ثوابتها ، والأصول المستقرة فيها ، مهما كانت وسائل الترغيب أو الترهيب ، ومهما اشتدت الإغراءات أو الضغوط التي يتم التلويح بها من هنا أو من هناك . [فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النار ، وما لكم من دون الله من أولياء ثـم لا تنصـرون] (هـود : ١١٢ ، ١١٣)، [ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز] (الحج : ٤٠) .

* وإذا كان الأصل في مضمون الدعوة ومبادئها وقواعدها هو الثبات الذي يليق بكمالها وعصمتها فإن الأصل في الوسائل والأسـاليب هـو التطـور والتجدد ، تبعاً لتقدم العلوم ، وتراكم الخبرة الإنسانية ، وتنوع عادات النـاس وأعرافهم(٦٦) .

وليس التجديد في الوسائل والأساليب بمستنكر ، فقد جـدد المسـلمون على عهد الرسول ﷺ وبعد عهده في أساليب الحرب ، ويمكن الإشـارة هنا إلى حفر الخندق الذى أشار به سلمان الفارسي على الرسـول ، عليـه الصلاة والسلام ، وقد اتخذوا من أدوات الحرب وطرق القتال ما لم يكن لـهم به عهد ، وقد دونت الدواوين في عهد عمر رضي الله عنه ، وعربت فـي عهد عبد الملك بن مروان ، وجمع المسلمون القرآن في عهد أبـى بكـر ، بمشورة عمر بن الخطاب ، واتسعت الحياة لألوان من التجديد فـي شـئون الإدارة والحكم والحسبة والقضاء والعمران وغير ذلك من مجالات الحيـاة ، بل إن الإسلام لم ير بأسا بتجديد الفهم للدين ، ويدل على ذلك قولـه ﷺ : [إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها] (٦٧) .

وقد تطورت العلوم التقنية - لاسيما في عصر العولمة - تطوراً كبيراً ، وتوصلت إلى وسائل وأجهزة لم تتوصل البشرية إلى مثلها فيما سـبق مـن عهود ، وبدأ الناس يستخدمونها في قضاء مصالحهم ، وتلبيـة حاجاتـهم ، وتنفيـذ أغراضهم في سهولة ويسر وسرعة ، وازداد الاعتماد عليـها كمـا وكيفاً ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإن على الدعاة إلى الله عز وجل ألا يستهينوا بما جد من الوسائل والأساليب التي يستخدمها الناس فـي مجـالات الحيـاة المختلفة ، بل إن عليهم أن يكونوا في طليعة المنتفعين بـها . ومـا دامـت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدعوة فريضة واجبة فإن كل ما يساعد على حسن تبليغها يكون واجبا ؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وإذا كان أهل الباطل أكثر نشاطاً في استخدام هذه الوسائل فإن أهل الحق أولى بذلك منهم ، وليستغلوا هذه الوسائل أحسن استغلال[٦٨] ، حتى لا يغلبهم الباطل بالاستيلاء على عقول الناس ، ولا سيما الشباب منهم ، وذلك بما تتضمنه البرامج الإعلامية المتنوعة المقدمة إليهم من عوامل الجذب والتشويق والإبهار والإثارة ، مما يجعل الإقبال عليها كثيرا • وينبغى ألا يكون الجمود والتحجر من نصيب وسائل الدعوة ، لما يترتب على ذلك من إعراض الذكى عنها ، ونفور منها ، وبذلك تفقد الدعوة قطاعات كثيرة من الناس ، لا لعجز أو نقص فيها ، ولكن لنقص في الوسائل التى تؤدى بها •

وقد حدث في مراحل تاريخية سابقة أن كانت الطباعة محرمة في رأي بعض علماء المسلمين ، لخشيتهم من وقوع أخطاء فيما تتم طباعته ، وخاصة في القرآن الكريم[٦٩] ، ووجدت بعض المواقف المماثلة عند ظهور بعض المخترعات الحديثة في وسائل الإعلام كالراديو والتلفزيون ونحوهما •

وينبغي ألا يكون الرفض أو القبول موجها إلى هذه الوسائل ذاتها ، بل إلى المضمون الذى يقدم فيها ، والكيفية التى يقدم بها ، والملابسات المحيطة بهذا التقديم ، والغايات المراد تحقيقها من ورائه ، فإذا كان ذلك كله داخلا في دائرة الصلاح والخير ، محكوما بما شرعه الله في الحلال والحرام ، وليس فيه معارضة لمبادئ الإسلام وحقائقه وأخلاقه ومقاصده فليس على الناس من حرج في استخدامه ، والإفادة منه ، خصوصاً وأنه يختصر المسافات ، ويصل إلى أبعد الأماكن في سهولة ويسر دون تكلف لمشاق السفر والانتقال والاغتراب • وينطبق هذا على كل ما يتم اختراعه أو اكتشافه على أيدى المسلمين أو غيرهم •

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد عرض شيخ الإسلام ابن تيمية لمثل هذه المسألة ، وهو يتحدث عن الانتفاع بآثار غير المسلمين في الطب والحساب ونحوهما من أمور الدنيا ، وقال : (هذا جائز ، كما يجوز السكنى في ديارهم ولبس ثيابهم وسلاحهم ، وكما تجوز معاملته على الأرض ٠٠ وكما استأجر النبى ﷺ هو وأبو بكر لما خرجا من مكة مهاجرين : ابن أريقط ٠٠ هاديا وكان أبو طالب ينصر النبي – ﷺ – مع شركه وهذا كثير) ثم قال : (فأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه ؛ بل هذا أحسن ؛ لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين ٠٠ بل هي مجرد انتفاع بآثارهم كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك) ، ثم قال عن الذي يختلط فيه الحق بالباطل : يقبل الحق ويرد الباطل بالاحتكام إلى القرآن والسنة(٧٠) ٠

وهكذا توضع القضية في نصابها ، دون تحرج ولا تردد ، ويضيف القائمون على أمر الدعوة إليها كل جديد ، يزداد عملهم به قوة ، تصل به إلى كل الآفاق ٠

أ– وينطبق ذلك – في المقام الأول – على شبكة الاتصالات الدولية [الإنترنت] التي يزداد عدد المستخدمين لها بمعدلات كبيرة ، ويتم الدخول إليها بيسر وسهولة ، ويمكن الانتفاع بها ، لمن يريد ذلك ، بالوصول إلى المعلومات والوثائق ونتائج البحوث والمؤتمرات العلمية ، وقوائم الكتب ، والدوريات العلمية ، كما يمكن بث الآراء والأفكار ، وإجراء المناظرات والمساجلات إلى غير ذلك من الموضوعات ، دون عوائق تذكر ٠ وتتمتع هذه الوسيلة بقدر كبير جداً من الحرية ، كما تتمتع بالسرعة الهائلة في استدعاء المعلومات والحديث إلى أصحابها ، وتقديم الأسئلة إليهم وتلقي الإجابات منهم ، أيا كانت جنسياتهم أو بلادهم ٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه وسيلة جديدة ينبغي استخدامها في إبلاغ الدعوة إلى الناس جميعا ، بإنشاء المواقع ، وتجهيز المادة العلمية ، والاستعانة بأهل الفقه للدعوة ، والعارفين بأسرار الشريعة ، والقادرين على الرد على ما يواجه إليها من تساؤلات ، أو شبهات ، ويمثل استخدامها في الوفاء بحاجات الدعوة واحداً من التحديات التي يجب أن ينهض بها المسلمون ؛ خاصة وأن هذه الوسيلة ليست حكراً على أحد ، وليس هناك حظر على استخدام المسلمين لها ، وإذا كان خصوم الإسلام قد سبقوا إلى استخدامها ، بقصد التأثير في المسلمين ، عن طريق تشويه حقائق الإسلام ، وترويج الشبهات حوله ، وزرع مشاعر الإحباط واليأس من المستقبل تجاه الإسلام في قلوب المسلمين ، ودعوتهم إلى التخلي عن الإسلام ؛ لأنه - بزعمهم - مضاد للتقدم والعلم والمدنية .. الخ فإن على المسلمين ألا يكتفوا بمجرد التلقي السلبي لهذا كله أو بإعلان الشكوى منه ، ووصف القائمين به بالتحيز وعدم الإنصاف ، أو بمناشدتهم أن يتحروا الحقائق ، وأن يتحلوا بالموضوعية . إن ذلك كله لن يجدي ، والاكتفاء به عجز في موقف لا ينفع فيه إلا القوة ، وتردد في ظروف لا يجدي فيها الا الإقدام ، ولكن عليهم أن يشحذوا عزائمهم ويجمعوا كلمتهم للوفاء بحق الإسلام عليهم ، وقد سبق لهم من قبل أن اتخذوا من وسائل التقنية الأخرى سبيلاً إلى خدمة الإسلام ، كالطباعة التي سهلت طباعة المصاحف والكتب الدينية ، ووفرتها في صور وأشكال دقيقة متقنة سهلة الحمل ، وكالإذاعة التي حملت أصوات الدعاة إلى كل مكان ، وكالحاسب الآلي ، الذي يستخدم في خدمة السنة النبوية ، ونشر مصادرها ، وتيسير الانتفاع بالكتب الإسلامية في التفسير والفقه والأصول والتاريخ وغيرها . وينبغي أن يلاحظ عند استخدام هذه الوسيلة أمور منها :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- تعدد اللغات المستخدمة في عرض المادة الدعوية لتكون صالحة لإفادة أكبر عدد من الراغبين • ولا يكفى الاقتصار على اللغات المستخدمة عند المسلمين ، كالعربية والفارسية والأوردية ، بل يجب أن يضاف إليها اللغات العالمية الكبرى ولا سيما اللغة الإنجليزية التى هي أكثر اللغات استخداما في شبكة الإنترنت وفي العالم •

- أن تستخدم كافة الوسائل والوسائط السمعية والبصرية لإيضاح المادة العلمية المقدمة وتقريبها لأذهان وأفهام الذين تتوجه إليهم الرسالة الإعلامية •

- أن تتعدد المستويات التي تعرض بها الأفكار ، لتكون صالحة لمخاطبة وإقناع سائر المستويات الفكرية •

- أن تتعدد الموضوعات بتعدد الاهتمامات والأعمار والثقافات • فمن يريد أن يعرف أخبار العالم الإسلامى غير الذى يريد أن يعرف المشكلات التي تواجهه ، والذي يحتاج إلى معرفة أوليات الإسلام غير الذي يهتم بالشبهات المثارة حوله • والبلاد التي ترزح تحت أعباء الفقر والحروب تختلف اهتماماتها ومطالبها عن المواطن التي تنعم بالرخاء والسلام وهكذا • ولا شك أن الوفاء بهذه المطالب كلها لن ينهض به رجال الدعوة وحدهم ، بل إن ذلك يحتاج إلى كتائب من العقول والخبرات التي تعمل في منظومة متعاونة ، متوافقة في المقاصد والغايات •

ب- ولا تقل القنوات الفضائية في أهميتها عن هذه الوسيلة ؛ فهي ذات ميزات ، منها :

- اتساع الدائرة المكانية التي تصل إليها •

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- شدة جاذبيتها ، وقوة تأثيرها ، بسبب ما يتوفر لها من تقنيات عالية .

- تنوع برامجها ، بحيث ترضي كافة الأذواق والاهتمامات والمستويات الثقافية والعمرية .

- إمكاناتها الكبيرة التي تساعدها على متابعة الأحداث في العالم كله ، في لحظة وقوعها أو بعد ذلك بقليل ، مما يجعل تأثيرها في بناء الأفكار والمفاهيم ، وتحديد المواقف كبيراً . وينبغي الإفادة من هذه الوسيلة بتطبيق تلك الدعوة المتكررة إلى إنشاء قنوات فضائية تعنى بشئون الدعوة الإسلامية ، مستفيدة من التطورات التقنية العالية ، على أن تستعمل كل الوسائل المتاحة من صوت وصورة ، وبرامج درامية ، مع تطوير لغة الخطاب ، وطرق العرض ، والتخلي عن الطرق التي يثبت عدم كفاءتها ، وعجزها عن الجذب والإقناع ، والاستعانة بالعلماء والأكفاء القادرين على الإجابة عن أحكام الله في الأمور الجديدة والوقائع المستحدثة ، أو ما يطلق عليه فقه النوازل ، حتى يتصرف المسلمون فيها على هدي من أحكام الشريعة ، بعيداً عن الحيرة والقلق والاضطراب الذي يقعون فريسة له ، إذا لم يتمكنوا من معرفة هذه الأحكام .

- وإذا كانت العناية بهذه الوسائل المستحدثة أمراً واجبا فإن الوسائل التقليدية لم تفقد أهميتها ، بشرط إحسان القيام بها ، واستكمال مقوماتها وشرائطها ، والانتقال من الحديث عنها إلى تنفيذها وتطبيقها .

ويمكن الإشارة إلى بعضها بإيجاز فيما يلي :

ج- العناية بترجمة معاني القرآن الكريم ، إلى أكبر قدر من اللغات ، والعمل على توصيلها للمسلمين ، ولا سيما في المجتمعات الفقيرة ، وإنه لمن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغريب أن الحصول على نسخة من القرآن الكريم باللغة العربية ، أو على ترجمة لمعانيه قد يكون عسيراً في بعض التجمعات الإسلامية .

ولابد أن تكون هذه الترجمات خاضعة للإشراف العلمي الدقيق من المؤسسات الإسلامية المختصة ، وألا يترك أمرها للهواة الذين قد يعجزون عن الترجمة الصحيحة ، أو للمستشرقين ، الذين لا تخلو ترجماتهم - في الغالب الأعم - من الأخطاء أو من الأهواء . وليستحضر القائمون على أمر الدعوة مسئوليتهم الجسيمة أمام الله عن إبلاغها ، وليتذكروا ما يبذله أصحاب الأديان الأخرى في ترجمات كتبهم إلى كثير من اللغات ، حتى للغات العامية ، التي يسود استعمالها في بعض البلاد الإسلامية (٧١) .

د- اختيار عدد مناسب - يتزايد ، على حسب الإنجاز - من المؤلفات التي تتحدث عن الإسلام وحقائقه وخصائصه لترجمته إلى اللغات الأجنبية ، ويمكن اختيارها من بين الكتب الموجودة حالياً ، أو أن يستكتب لها علماء الإسلام الذين يتميزون بالفقه الصحيح للإسلام ، والعرض الجيد له .

كما يمكن أن يضم إليها بعض الكتب التي كتبها المهتدون إلى الإسلام من أبناء الحضارات والأديان الأخرى ، لأن هؤلاء أصحاب تجربة انتهت بهم إلى الإسلام ، وهم أعرف من غيرهم بالمسائل والقضايا التي تجتذب الناس إلى الهداية ، وهم - كذلك - أعرف بالمشكلات التي يمكن أن تقف في وجه الإسلام ، فضلاً عن معرفتهم الجيدة بلغة أقوامهم ، وظروف مجتمعاتهم ، واختيار ما يلائمهم . على أن تخضع هذه الكتب للمراجعة ، لتصويب ما يمكن أن يكون فيها من أخطاء مبعثها عدم التعمق في معرفتهم بالإسلام ، أو انتماؤهم إلى مناهج فكرية تحكم فهمهم لبعض قضايا الإسلام ، وربما يحتاج الأمر إلى إضافة فكرة ، أو إكمال نقص ، بحيث تؤدي الغاية المرجوة منها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هـ- الاستعانة بالمسلمين الذين يعيشون في مجتمعات خارج بلاد العالم الإسلامي ؛ كالمسلمين المهاجرين الموجودين في أوروبا وأمريكا واستراليا وأفريقيا ، والأقليات الإسلامية من أهالي بعض البلاد الموجودة في أوروبا وآسيا وغيرها ، على أن تكون جهود هؤلاء موجهة إلى الدعوة إلى الإسلام ذاته ، وأن يوحدوا جهودهم ، بدلاً من الخلافات التي كثرت الشكوى منها ، والتي يعد وجودها بينهم من معوقات نشر الدعوة بدلاً من أن تكون عوناً على نشرها .

و- الإفادة من بعض الكتب التي يكتبها بعض المنصفين من المستشرقين الذين يتخلصون أو يتخففون من المواقف العدائية ، التى يتخذها كثير منهم بسبب العصبية الدينية ، أو الانتماءات الأيديولوجية ، أو العمل على تحقيق مصالح بلادهم على حساب الحقيقة والمصالح العربية الإسلامية . وربما كان هؤلاء قلة ، ولكن يمكن الانتفاع بما في كتبهم من الحق والموضوعية والإنصاف والأمانة ، كما يمكن التعليق والرد على ما يخالف الحق من ذلك كله ولنتذكر هنا قول ابن تيمية الذى ذكرناه منذ قليل ، عندما قال عن آراء المخالفين إن كان فيها حق وباطل ، فلنأخذ الحق ، ونترك الباطل .

ز- التشجيع على تأليف وترجمة الكتب والبحوث التى تتحدث عن الحضارة الإسلامية ، وما قدمته من مبتكرات واكتشافات علمية ، وما حفلت به من شخصيات علمية كبرى ظهرت في رحاب هذه الحضارة ، وما أسهمت به في الحفاظ على تراث الحضارات السابقة عليها ، ثم في بناء الحضارة الإنسانية بصفة عامة ، والحضارة الغربية بصفة خاصة .

ح- تشجيع المزيد من الدراسات العلمية عن الإسلام في العالم ، عن طريق إنشاء أقسام ، أو "كراسي" لدراسة الإسلام وحضارته تشرف عليها ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتمولها ، وتسهم في وضع خططها الدراسية بلاد العالم الإسلامي ، بقصد الوصول إلى رؤية موضوعية منصفة للإسلام ، وتسهم في الوقوف أمام هذا السيل الهادر من الدراسات المتحيزة التي تصدر عن بعض مراكز البحوث ، وأجهزة الدعاية التي تشرف عليها قوى ومصالح معادية للإسلام والمسلمين ، وهي تعمل على صنع وتثبيت صورة مشوهة عنهما في ذهن المتلقي ، ويصور المسلمون فيها بأنهم جهلاء متخلفون عدوانيون متطرفون ، غوغاء متعطشون للدماء ، رافضون للتقدم ، شهوانيون الخ .. تلك الصفات التي تؤدى إلى احتقارهم والاشمئزاز منهم ، وتؤدى برجال السياسة إلى اتخاذ مواقف عدوانية منهم (٧٢) .

ط- أن يعنى العاملون في حقل الدعوة الإسلامية بإمداد المسلمين أنفسهم في سائر بقاع العالم بحقائق الإسلام ، لتكون صلتهم به مبنية على العلم الدقيق ، والفهم الصحيح له ، وليكون ذلك من عوامل تحصينهم من الوقوع في الشباك التي تحاك ضدهم لإخراجهم من الإسلام ، أو - على الأقل لتوهين صلتهم به ، وتحويل علاقتهم به إلى انتماء شكلي واهن، لا يبني شخصية ، ولا يميز فكراً ، ولا يمنح صلابة وقوة ، ولا يؤثر في سلوك ولا أخلاق ، ثم ينتهي الأمر - على المدى الطويل - إلى فصم هذه العلاقة بينهم وبين الإسلام ، بسبب تجفيف منابع علمهم بالإسلام ، وما يؤدى إليه ذلك من تجهيل ينذر بأوخم العواقب وسوء المصير .

وبهذه الوسائل - وأمثالها مما يهتدي إليه العاملون في حقل الدعوة - يتحقق - للدعوة النهوض والظفر ، الذي وعد الله به العاملين المخلصين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين (العنكبوت : ٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : كيف يتم ذلك كله :

إن القيام بهذه المهام كلها ، على مستوى الوسائل والغايات والمقاصد الإسلامية – يقتضى تحقيق عدد من الأمور ، من أهمها :

أ- أن تكون الدعوة إلى الله تعالى في طليعة المهام والوظائف التي تقوم بها الدول والحكومات الإسلامية ؛ إذ هي مكلفة تكليفاً شرعياً بحراسة الدين وسياسة الدنيا به . وفي ذلك يقول ابن خلدون (٨٠٨هـ) في تعريف الخلافة ، إنها (حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية ، والدنيوية الراجعة إليها ؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها – عند صاحب الشرع – إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهى في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين ، وسياسة الدنيا به) [٧٣] .

وليست هذه الدول مكلفة – فقط – بحراسة الثغور وحماية الحدود ، وتوفير الأمن الداخلي ، والقيام بشئون الصحة والتعليم وغيرها من الوظائف العامة ، بل إنها مكلفة – كذلك – بمهمة الدعوة إلى الله ، وإقامة المؤسسات والهيئات التي تنهض بها ، وتوفير المطالب والحاجات اللازمة لها . وفي مثل هذا المعنى يقول الله تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ (الحج : ٤١) .

ب- أن يتعاون العاملون في حقل الدعوة الإسلامية ، على مستوى كل بلد إسلامى ، ثم على مستوى البلاد الإسلامية كلها ، وأن يبتعدوا – في قيامهم بواجب الدعوة – عن الفرقة والخلافات المذهبية والعقائدية ، وأن يجعلوا هذه الدعوة خالصة لله وحده ، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً ، حتى تثمر جهودهم ويبارك الله في أعمالهم ، وقد أمر الله بالاعتصام بحبله في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمور كلها ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ (آل عمران : ١٠٣) ، ونهى عن الفرقة ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ ﴾ (الأنعام : ١٥٩) ، كما نهى عن التنازع ، وحذر من عواقبه ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ (الأنفال : ٤٦) ، وربط النصر بابتغاء وجهه في الأعمال ، وبوحدة القلوب في القيام بها ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ٠٠﴾ (آل عمران : ١٥٢) ولئن جاءت بعض هذه الآيات في التعقيب على ما حدث في بدر وأحد فإنها ترسم الطريق الأمثل لتحقيق النجاح في كل الأعمال ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون ٠

ثم إن الاستمساك بالعصبية والمذهبية في الدعوة يؤدي إلى تشتيت الجهود ، وتبديد القوى ، وتحويل النشاط الدعوى إلى المسلمين بقصد الانتقال من مذهب ديني إلى مذهب ديني آخر ، بدلاً من توجيهها إلى غير المسلمين بقصد تعريفهم بالإسلام وإدخالهم فيه ٠ وفي هذا ما فيه من ضعف للإسلام والمسلمين ٠

ومما ينبغي ملاحظته أن الدعاة إلى المسيحية قد تنبهوا إلى قيمة هذا التوحيد للقوي منذ أمد بعيد ، فعلى الرغم من الخلافات العميقة بين الكاثوليك والبروتستانت ، والحروب الدامية التي وقعت بينهم اتفقت الطائفتان في مؤتمر أدنبره ١٩١٠م على توحيد أعمال الإرساليات التي تنتمى إليهما ، لكي تكون الثمرة أربعة أمثال ما يمكن التوصل إليه عند الاختلاف ٠ وجاءت النتائج لتثبت نجاح هذه الخطة ٠ وقد وصل الأمر إلى حد الاتفاق على بناء كنيسة واحدة ، وسط كل أمة غير مسيحية ؛ لأن المهم - عندهم - هو أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكون هناك موطئ قدم للنصرانية ، بصرف النظر عن أن يكون هذا الموقع كاثوليكياً أو بروتستانتياً (٧٤) .

ج- أن ترتقي - الدعوة عند المكلفين بالقيام بها - من كونها وظيفة إلى كونها "رسالة" تملأ على الداعي نفسه وقلبه ، وتستحوذ على عقله وفكره ، وينشغل بها ليلاً ونهاراً ، يعمل لها ، ويعيش من أجلها ، ويحمل همومها ، ويسعى من أجل تحقيق أهدافها بمزيد من البذل والتجدد والعطاء ، والصبر على أعبائها ومشقاتها ، على نحو ما تحقق به الدعاة الأولون كمصعب بن عمير رضى الله عنه ، الذي سبق الرسول ﷺ إلى المدينة بعد بيعة العقبة ، وقد شرح الله له الصدور حتى عرف الإسلام طريقه إلى معظم بيوت أهل المدينة قبل هجرة الرسول إليها ، وقد سلك إلى إبلاغ الدعوة كل سبيل مستطاع ، وذهب إلى الناس في نواديهم ومواطن تجمعهم حتى الذين بلغه معارضتهم للإسلام . ولم يدخر جهداً ولا وقتاً ، ولذلك بارك الله عمله ، وفتح له القلوب والأسماع .

٢- ويقتضى ذلك حسن اختيار الدعاة بأن يختاروا من ذوي العلم والكفاءة ، والرغبة في العمل الدعوي ، والقدرة على القيام به ، والصبر على أعبائه ، والتضحية في سبيله ، ولا يصح إذن أن يتم الاختيار ، ولا سيما في الدعوة في خارج المجتمعات الإسلامية ، اعتمادا على مواصفات لا صلة لها بالدعوة ، كالقرابة ، والمجاملة وتوفير فرصة للثروة والغنى أو قضاء المصالح الدنيوية ، لأن كله يضر بالدعوة ولا يفيدها .

هـ- أن يتم إعداد هؤلاء الدعاة المختارين بدقة وعناية ، إعداداً عالياً يتناسب مع جلال المهمة التي يتهيئون للقيام بها . ويدخل في هذا الإعداد - إلى جانب العلم بالعلوم الشرعية الإسلامية - العلم ببعض العلوم المساعدة كعلم النفس والاجتماع وتاريخ الأديان ، وتاريخ الشعوب التي سيرسل للدعوة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيها ، ثم العلم بلغات البلاد التي سيذهب إليها حتى لا يوجد أمامه عائق يحول بينه وبين الاتصال المباشر بهؤلاء الذين سيذهب لدعوتهم ، والعلم بالمشكلات التي يواجهونها ، والأفكار السائدة بينهم . وهكذا .

و- أن يتم تدريب هؤلاء الدعاة على استخدام وسائل الاتصال الحديثة ليتمكن الداعية من الإفادة منها ، في دعوته ، مع التزامه بالحكمة في الأداء ، وحسن التأتي لواجباته ، والتحلي بالبصيرة في معرفة الظروف والعوامل المساعدة أو المعارضة ؛ امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل : ١٢٥) وقوله :﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (يوسف : ١٠٨) .

وهذا كله - وما يماثله - هو السبيل إلى القيام بحق الدعوة والوصول إلى مرضاة الله تعالى ، الذى ضمن لدينه البقاء والانتشار والظهور ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩) .

وبذلك بشر رسوله ﷺ في مثل قوله [ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل الله به الكفر] (٧٥) .

وحسب الدعاة شرفاً وفضلاً أن يكونوا من عوامل وأسباب تحقيق هذا الوعد الكريم ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (يوسف : ٢١) .

والحمد لله رب العالمين ،،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش والتعليقات

---

(١)سنن الدارمي دار إحياء السنة النبوية ، بعناية الأستاذ محمد أحمد دهمان . انظر : المقدمة ، باب صفة النبى ﷺ في الكتب ، قبل مبعثه ٧/١ .

(٢)صحيح مسلم (بشرح النووي) طبعة دار الشعب ، القاهرة . كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٥٣٢/٥ .

(٣)صحيح البخاري ، طبع استانبول ١٩٨١ . كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من أسلم على يديه رجل ، ٢٠/٤ وقد أخرج نحوه الإمام أحمد بروايتين إحداهما من وصية الرسول ﷺ لعلي ، وثانيتهما من وصيته لمعاذ رضي الله عنهما . مسند أحمد (الحلبي) ٢٣٨/٥ ، ٣٣٣ .

(٤)صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، باب قول الله تعالى : فلم تجدوا ماء "٨٦/١ وفي المساجد ، باب قول النبى ﷺ : "جعلت لي الأرض مسجداً . وصحيح مسلم ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، في فاتحته ١٥٤/٢ . وانظر جامع الأصول لابن الأثير ٥٢٨/١ - ٥٣١ .

(٥)تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ، طبع دار الشعب تحقيق الأستاذ عبد العزيز غنيم وآخرين مجلد ٢٣/٣ .

(٦)الموافقات في أصول الشريعة ، للشاطبى ، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الله دراز ، طبع المكتبة التجارية الكبرى - مصر ٥٩/٢ . وقال الشاطبى - رحمة الله : إن الله قد قيض للقرآن الكريم "حفظة" بحيث لو زيد فيه حرف واحد ، لأخرجه الآلاف من الأطفال الأصاغر ، فضلا عن القراء الأكابر . وهكذا جرى الأمر في جملة الشريعة .. الموضع نفسه .

(٧)صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل ١٤٥/٤ ومسند أحمد ١٥٩/٢ ، وسنن الدارمي : المقدمة ، باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعيين السنن ١٣٦/١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٨)صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب قول النبى ﷺ : رب مبلغ أوعى من سامع ، ٢٤/١ ، ٢٥ ومسند أحمد ٤/٥ .

(٩)سنن ابن ماجة ، بعناية الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى . المقدمة ، باب من بلغ علما ، ٨٤/١ وانظر أحاديث الباب (٨٤/١-٨٦) .

(١٠) انظر على سبيل المثال ، الإسلام في عصر العلم ، لمحمد فريد وجدي ، دار الكاتب العربي بيروت ط٣ د.ت ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، هنري لنك : العودة إلى الإيمان ، ترجمة د. ثروت عكاشة ، دار المعارف ط٣ /١٩٦٤ ص ٨١ ، ٨٢ ، ١١٩-١٢١ ، شنايدر : العالم في القرن العشرين ، ترجمة سعيد عبود السامرائي ، دار مكتبة الحياة ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، محمد عبد الله الشفقي : مع أرنولد توينبي ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ ص ٣٤ .

(١١) د. عبد الخالق عبد الله : العولمة ، جذورها وفروعها ، وكيفية التعامل معها . مجلة عالم الفكر . الكويت ، المجلد الثامن والعشرون ، العدد الثاني ١٩٩٩ ص ٣٩ .

(١٢) انظر السابق ص ٦٥ ، وانظر ص ٦٠ أيضاً .

(١٣) د. جلال أمين ، العولمة طبع دار المعارف ط ١٩٩٨/٢ ص ١٦-١٩ .

(١٤) انظر دراسة لهذه الأفكار في بحث سابق قدمناه من قبل بعنوان : الإسلام والغرب في ظل العولمة ، نشر ضمن كتاب المؤتمر الدولي الرابع لقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة بعنوان : الإسلام في عصر العولمة ، طبع دار الهاني ٢٠٠٠ ص ٤٢٢ -٤٣٦ .

(١٥) انظر : الأستاذ سيد يس ، العولمة والطريق الثالث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ص ١٨٩ ، وفخ العولمة تأليف هانس - بيتر مارتين ، هارالد شومان ، ترجمة د. عدنان عباس على ، مراجعة وتقديم د. رمزى زكى . سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٨ في مواضع متفرقة منها : ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٥٧ ، ٦٠ الخ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(١٦) ما العولمة : تأليف بـول هيرسـت ، جراهام طومبسون ، ترجمـة د. فـالح عبد الجبار ، سلسلة عالم المعرفة : الكويت ، سبتمبر ٢٠٠١ ص ٣٨٦-٣٨٩ .

(١٧) انظر : فخ العولمة ، مرجع سابق ٥٧ .

(١٨) السابق : ٨٥ .

(١٩) يقصد – هنا – التأثيرات الثقافية بمعناها الواسع ، الذي يشمل جوانـب التديـن ومنظومة القيم والأخلاق والعادات ، ونمط العيش وأساليب الحياة ، وهكذا ، وهذا من المعاني الشائعة التي تستعمل الثقافة فيها .

(٢٠) ستزيد إلى ألفي قمر صناعي قريباً ، بل ستزيد إلى ما هو أكثر من ذلك . انظر بحث العولمة ، د. عبد الخالق عبد الله ، مرجع سابق ص ٧٦ .

(٢١) فخ العولمة ، مرجع سابق ٤٣ ، ٤٤ ويشار كذلك إلى أنه يحدث لأول مرة فـي التاريخ أن يتمكن أكثر من ثلاثة مليارات من البشر أي نحو نصف سكان العالم مـن متابعة بعض الأحداث في وقت واحد ، وهي أحداث رياضية وسياسـية أو متعلقـة ببعض الشخصيات المعروفة على المستوى العالمي .

انظر : العولمة ، بحث سابق ٧٥ ، ٧٦ .

(٢٢) ما العولمة ، مرجع سابق : ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(٢٣) فوكوياما : نهاية التاريخ ، والإنسان الأخير ، تقديم مطاع صفدي ، ترجمـة د. فؤاد شاهين ، د. جميل قاسم ، رضا الشايبي ، مركز الإنماء العربي لبنـان ١٩٩٣ ص ٢٠٧ .

(٢٤) السابق : ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٢٥) السابق : ٢٠٧ وهو يصف الدين عموما بأنه أقل عقلانية ، وأن عليه أن يتخلـى عن مكانه إلى روح الغزو العقلية التي شكلت الرأسمالية الحديثة . انظـر السـابق ٢٢٠ .

(٢٦) السابق : ٢٨٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٢٧) السابق : ٢٨٤ ٠

(٢٨) انظـــر : صمويـــل هنتنجتون : صدام الحضارات ، ترجمة الأســـتاذ طلعـــت الشايب ٠ تقديم د٠ صلاح قنصوه ، طبع دار ســـطور – القـــاهرة ط١/١٩٩٨ ص ١٣٣ ٠

(٢٩) انظر : جراهام أى فوللر ، إيان أوليسر : الإســـلام والغـــرب بيـــن التعـــاون والمواجهة ، ترجمـــة الأستاذ شوقي جلال ، مركز الأهـــرام للترجمـــة والنشـــر – القاهرة ٠ ط١/١٩٩٧ ص ١٤٣ ، ١٤٤ ٠

(٣٠) انظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، المجلد الرابع ، الجزء الثالث ، ترجمـــة الأستاذ محمد بدران طبع لجنة التأليف والترجمة والنشـــر ١٩٧٥ ، ٢١٩/١٤ ومـــا بعدها ٠

(٣١) انظـــر : صدام الحضـــارات ، مرجـــع سابق ص ٣٣٩ ويشيـــر هنتنجتـــون إلى حصـــار الجيـــوش التركية لفينا ، عاصمـــة النمســـا مرتيـــن ســـنتي ١٥٢٩ ، ١٦٨٣م ٠

(٣٢) د٠ مراد هوفمان : الإسلام عام ٢٠٠٠ ، ترجمة الأستاذ عادل المعلم ، مكتبـــة الشروق ط/١٩٩٥ ص ٣٧ وانظر ص ٣٣ وما بعدها ٠

(٣٣) انظر على سبيل المثال : مقالة د٠ ادوارد سعيد ، بعنوان الإســـلام والغـــرب ، ضمن الإسلام الأصولى في وسائل الإعلام الغربي من وجهة نظر أمريكية ، طبـــع دار الجيـــل – بيروت ط١/١٩٩٤ صفحـــات ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ومواضع أخرى ٠ والإسلام والغرب ، الحـــاضر والمســـتقبل ، للأستاذين زكـــي ميلاد ، تركي على الربيعـــو ٠ دار الفكـــر دمشـــق ، دار الفكـــر المعاصر ، بيروت ط٢/٢٠٠١ ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٥ ، وعديدا من المقـــالات التي ترجمتها ونشرتها صحيفة الأهرام القاهرية ، ومنها : الإسلام ونحـــن ، جـــون مونرو ، الأهرام ٣ فبراير ٢٠٠١ ص ١٢ ومعركة يخوضها نخبة من الخبراء بقلـــم زاخاري كاربيل ٢٠٠٢/٣/٢٠م ٠ والمقال الذي كتبه صمويل هنتجتون فـــي العـــدد السنوي مجلة نيوزويك (ديسمبر ٢٠٠١) بعنوان "عصر حروب المسلمين" ٠ ونشـــر في الأهرام ٢٠٠٢/١٢/٢٢ ص ٦ ومقال عن كتاب الاقتراب من القرآن ، عـــرض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتلخيص حازم عبد الرحمن ، نشر بـــالأهرام ٢٠٠٢/٨/١٧ ص ٦ إلـــى مقـــالات وبحوث يتعذر إحصاؤها .

(٣٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ١٩٠/٧ .

(٣٥) سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب حرمة دم المؤمن وماله ، ١٢٩٧/٢ .

(٣٦) انظر كتب التفسير لمعرفة سبب نزولها .

(٣٧) مسند أحمد ٤١١/٥ .

(٣٨) مسند أحمد ٣٦٩/٤ .

(٣٩) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادتي عدل وقسط ، وفي التحذير من الظلم ، مادة ظلم .

(٤٠) ابن قيم الجوزية : إعلام الموقعين عن رب العالمين ، طبع الشيخ محمد محـــي الدين عبد الحميد . دار الفكر ، لبنان ط ١٩٧٧ جـــ٣٧٣/٤ .

(٤١) الموافقات ١٦٨/٢ وانظر ما بعدها ، وكذلك ٣٨/٢ .

(٤٢) عز الدين بن عبد الســـلام : قواعد الأحكام في مصالح الأنـــام ، تصويـــر دار الكتـــب العلميـــة ٩/١ ، ١٣٢ وانظر ١٦٠/٢ ، وانظر كذلك : الموافقـــات ٦/٢ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٥٤ ومواطن أخرى . على أن يكون معلوماً أن المصـــالح دنيويـــة أو أخروية لا يعتد بها إلا إذا كانت مترافقة مـــع مـــا يرضـــاه الله ويحبـــه ويشرعه .

(٤٣) إعلام الموقعين ١٤/٣ ، ١٥ .

(٤٤) سنن الدرامي : المقدمة ، باب كيف كان أول شأن النبى ﷺ ٩/١ .

(٤٥) انظر مثلاً : تفسير القرطبي ، طبعة دار الشعب – القاهرة ص ٢٤١٧ وتفســـير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ مجلـــد ٣٣٠/٧ .

(٤٦) موطأ الإمـــام مالك ، تصحيح وتخريج الأستاذ محمد فؤاد عبد البـــاقي طبعـــة الشعب ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في الرجم ص ٥١٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٤٧) وقال سلمان الفارسي مثل ذلك . انظر سنن الترمذي ، أبواب الطهارة باب الاستنجاء بالحجارة ١٣/١ ومسند أحمد ١٢٦/٤ ، ١٥٣/٥ ، ١٦٢ وتفسير ابن كثير طبعة الشعب ٢٤٩/٣ وانظر حديث العرباض بن سارية في سنن ابن ماجة ، المقدمة ١٦/١ .

(٤٨) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد ، المطبعة المصرية ومكتبتها د.ت ٤٨/١ ، ٤٣/٣ .

(٤٩) يقول العلماء : إنه لا اجتهاد مع النص ، ومع ذلك يبقى الاجتهاد في فهم النصوص وتحديد مدلولها ، بمعرفة أسباب نزولها ، وعلاقتها بغيره من النصوص ، من حيث الخصوص والعموم ، والتقييد والإطلاق ، وتطبيق الاحتمالات الواردة عندما يقع ما يشعر بالتعارض بين بعض النصوص وبعض ، إلى غير ذلك مما اجتهد فيه الأصوليون من الفقهاء ، ووضعوا له المعايير المؤدية إلى ضبط الاجتهاد وإحكامه .

(٥٠) فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، طبعة دار الريان ، القاهرة ط ١٩٨٧/١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لا يعنيه ٢٨٠/١٣ وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ١٧/٩ وانظر تفسير ابن كثير ٢٠٢/٣ ، ٢٤٥/٥ .

(٥١) صحيح مسلم (بشرح النووي) : كتاب الفضائل ٢١٢/٥ وانظره بندوه في مسند أحمد ٢٩٨/٥ ، ١٢٣/٦ .

(٥٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، طبعة الرياض ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م جـ٤٧/١ وانظر ٨٠/١ ، ٩١ - ٩٣ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ومجموع الفتاوى ، طبعة الرياض ٥١٤/٦ وانظر كذلك لتلميذه ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، والموافقات للشاطبي ٢٧/٣-٣٣ ، ٢٩٤/٤ .

(٥٣) انظر - مثلا - رسائل الكندي ، تحقيق د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٠ جـ ١ /٢٤٤ ، وابن سينا : تسع رسائل في الحكمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والطبيعيات ، مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ط١ /١٢٩٨ هـ ص ٥٠ وابن رشد : فصل المقال ، تحقيق د٠ محمد عمارة ، دار المعارف ٣١ ، ٣٢ .

(٥٤) انظر : تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة ، طبع دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر أباد الدكن بالهند ١٩٥٨ ص ٢١٩ .

(٥٥) صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ٦٧/٥ ، ٧٧ .

(٥٦) سنن أبي داود ، مراجعة وضبط الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، في كتاب الجهاد ، باب في دعاء المشركين ٣٧/٣ .

(٥٧) السابق : الباب نفسه ٣٧/٣ ، ٣٨ .

(٥٨) الحديثان في سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب فيمن يغزو ، يلتمس الدنيا ، وباب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ١٣/٣ ، ١٤ .

(٥٩) تاريخ الرسل والملوك للطبري ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف – مصر – ط٥/١٩٨٦ ، ٥٢٠/٣ .

(٦٠) البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق د٠ أحمد أبو ملحم وآخرين دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١٩٨٧/٣ ، حـ ١٩٣/٤ .

(٦١) انظر مثلاً : الدعوة إلى الإسلام ، سير توماس أرنولد ترجمة د٠ حسن ابراهيم حسن ، د٠ عبد المجيد عابدين أ٠ اسماعيل النحراوى ، مكتبة النهضة المصرية ط٣/١٩٧٠م ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦١ .

(٦٢) السابق ٤٦١ ، ٤٦٢ وانظر نماذج لهذا التسامح ٤٦١-٤٦٥ ولم يكن المسيحيون وحدهم هم الذين نعموا بهذا التسامح ، بل نعم به اليهود أيضاً في الأندلس وفي المشرق الإسلامى ، فلم يكن في العالم الإسلامي محاكم تفتيش كتلك التي أقيمت في أوربا ، وقتل فيها مئات الألوف من اليهود والمسلمين وبعض النصاري ، ولقد عبر اليهود عن فكرهم وكتبوا باللغة العربية أحياناً ، ووصلوا إلى بعض مناصب الوزارة أحياناً ، ولما طاردتهم محاكم التفتيش في أسبانيا لم يجدوا من يحتمون به إلا العالم الإسلامى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٦٣) د٠ وهبة الزحيلي : العلاقات الدولية في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ط١/١٩٨١٠ ص ٢٦ ، ٢٧ والمراجع المثبتة بهما ٠

(٦٤) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب من قام لجنازة يهودي ٨٧/٢ ومسلم في كتاب الجنازة ، باب القيام للجنازة ٦٢٣/٢ ، ٦٢٤ ٠

(٦٥) سنن ابن ماجة ، كتاب الديات ، باب من قتل معاهداً ٨٩٦/٢ وفي الباب أحاديث أخرى ، وفي الباب الذي بعده ، وارجع إلى مسند أحمد ١٨٦/٢ ، ٢٣٧/٤ ، ٣٦٩/٥ ، ٤٧٤ ٠

(٦٦) انظر : د٠ محمد أبو الفتح البيانوني : المدخل إلى علم الدعوة ، طبع إدارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف ، قطر ط ١٩٩٧/٤ ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣٤٠ ٠

(٦٧) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة ١٠٩/٤ ، وفتح الباري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ٣٠٨/١٣ (طبعة الريان) ٠

(٦٨) انظر الأستاذ أمين أحسن إصلاحي : منهج الدعوة إلى الله ، تعريب الأستاذين : سعيد الأعظمي الندوي ، نور عالم الندوي ، دار نشر الكتاب الإسلامي ، الكويت ، د٠ت ص ٥٨-٦٠ ٠

(٦٩) انظر : هاملتون جب ، وهارولد بووين : المجتمع الإسلامي والغرب ، ترجمة د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ج ٢٩٢/٢ ، ٢٩٥ ٠

(٧٠) مجموع فتاوي ابن تيمية ١١٤/٤ ، ١١٥ ٠

(٧١) انظر مثلاً : مقالة ويليام د٠ رايبرن ، بعنوان : الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين ص ٥٠٩-٥٣٠ ، ضمن كتاب : التنصير ، خطة لغزو العالم الإسلامي ، وهو ترجمة لأعمال مؤتمر كلورادو ١٩٧٨م ٠

(٧٢) انظر : مقالة ادوارد سعيد التي سبقت الإشارة إليها ، بعنوان الإسلام والغرب ، ضمن الإسلام الأصولي ص ٣٧ وما بعدها ، ص ٥٥ وما بعدها ٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(٧٣) مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٧٤) انظر : أ.ل. شاتليه : الغارة على العالم الإسلامي ، لخصها ونقلها إلى العربية الأستاذ محب الدين الخطيب ، والأستاذ مساعد اليافي ، نشر المطبعة السلفية ، ١٣٨٣ هـ ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٧٥) مسند أحمد ١٠٣/٤ وانظر ٤/٦ .

* * *

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com